المطبعة المارونية – حلب – هاتف ١٣٠٤٦

مكتبة جورج انطون كيراز

اسم الكتاب الروضة الزهرية في الوصايا الالهية.

اسم المترجم

(بقلم) فيلكسينوس يوحنا دولباني.

سنة الطبع ١٩٥٨

رقم الكتاب 913

ملاحظات

[illegible]
الشماس جورج انطون كيراز
DEACON GEORGE ANTON KIRAZ

الروضة الزهية

في

الوصايا الالهية

بقلم

فيلكسينس يوحنا دولباني

مطران ماردين وتوابعها

نشر على نفقة محب الخير السيد متى القس متى
ورصد ريعه الى دير الزعفران

ماردين

١٩٥٨

لا مانع من طبعه

حمص في ٢٧ حزيران ١٩٥٩

اغناطيوس يعقوب الثالث

بطريرك انطاكية وسائر المشرق

ܡܦܩ ܒܪܘܫܐ

ܟܕ ܒܦܘܓܠܘܬܐ ܚܠܝܨܬܐ ܕܡܫܒܚܬܐ ܕܟܠ ܦܘܩܕܢܐ
ܐܠܗܝܐ ܐܬܚܫܚܬ : ܘܦܫܩܬܗ ܡܢ ܟܠ ܐܢܫܝܢ ܕܡܬܦܣܩܝܢ
ܒܗ ܘܐܬܪܢܝܬ : ܠܡܠܐ ܗܠܝܢ ܕܒܗܝܢ ܐܝܟ ܒܡܫܡܫܢܘܬܐ
ܕܡܠܐ ܐܝܬܝ ܕܡܦܩܢܘܬܐ ܪܒܬܐ ܠܗܢ ܐܬܝܬܝܬ .
ܘܒܬܫܡܫܬܐ ܗܕܐ ܕܐܘܪܚܬܐ ܐܝܟܢܐ ܒܝܬܗ ܡܫܬܡܥܬ
ܒܫܡܥܬ : ܘܡܦܩܬܐ ܕܡܠܐ ܕܒܣܘܪܝܝܐ ܠܟܪܝܣ
ܛܝܢܘܬܐ ܘܡܫܒܚܬܐ ܒܗܝ ܦܪܘܫܬܐ ܕܐܦܪܝܢ ܐܬܝܬ . ܘܒܗܘ
ܠܦܪܘܫ ܡܬܬܦܫܩܢܘܬ ܒܝܫܬ : ܕܢܬܪܘܢ ܡܢܗ ܒܠܘܗܝ
ܟܪܘܗܘܢ : ܘܢܗܪܘܢ ܦܘܩܕܢܘܗܝ : ܘܢܫܬܡܠܘܢ ܕܐܝܟܢܐ
ܕܗܘܘ ܡܪܘܬܐ ܕܡܫܒܚܢܘܬܗ ܘܦܪܫܬܐ ܕ ܟܪܘܗܝ : ܒܗ ܚܡ
ܡܫܝܚܘܬܗ ܕܡܬܓܠܝܐ ܒܓܪܣܘܗܝ . ܐܡܝܢ .

ܦܝܠܘܟܣܝܢܘܣ
ܡܘܨܠ ܕܡܪܕܐ

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܘܨܪܐ
ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܣܬܟܠ ܕܥܠ ܒܝܡܐ
ܘܕܚܝܠܐ ܡܢ ܕܝܢܐ ܡܬܚܫܒ ܘܗܘܐ ܕܓܢܒ ܗܝܟܠ ܐܘ
ܢܗܘܐ ܠܗ ܚܪܡܐ ܠܐ ܫܘܒܩܢܐ ܗܘܐ ܠܗ ܥܕܡܐ ܕܢܗܦܘܟ
ܟܬܒܐ ܕܝܠܗ ܢܗܘܐ ܠܗ ܠܡܘܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

مقدمة

في الوصايا الالهية

الآية

اوامره كلها امينة « مز ١١١ : ٧ »

انني لما تأملت سؤال الشاب المسيح « ماذا اعمل لأرث الحياة الابدية « لو ١٠ : ٢٥ » والجواب الذي تناوله منه : ان كنت تريد ان تدخل الحيـــاة احفظ الوصايا « مت ١٩ : ١٧ » استنتجتُ من ذلك امرين . احدهما رغبة الشاب الناهض والمابه في الحياة الحقة . والثاني : ان طريق الحياة هو حفظ الوصايا . ومن ثم عزمت ان اخاطبـــكم في الوصايا الالهية التي قال عنها المرنم « اوامره كلها امينة « مز ١١١ : ٧ » مبيناً لـكم الهدف السامي من حفظهـا والتطور الذي صار في بعضهـــا بمناسبة حلول العهد الجديد مكان العهد القـديم . وأول موضوع ابدأ به هو الوصايا الالهية على الاطلاق وضرورة سَنّها .

لامرٌ لا تردّد فيه انه حينما تتشكل هيئة بشرية من عضوين تحتاج الى نظام لتسير عليـه . والاّ فتسري اليه الفوضى وتزعزع اركانهـا . وهو امر يرشدنا الى القول : ان الله جلّت قدرته لما خلق الانسان ذكراً وانثى وباركهم ونسلهم ليملأوا الارض لم يتركهم بدون نظـام .

لكنه وضع لهم وصايا لتساعدهم في الحياة الدنيا . وتؤهلهم لنوال الحياة الابدية .

وما تلك الوصايا إلا الناموس الطبيعي الذي غرسه الله في الخليقة الناطقة منذ فطرتها كي يرشدها الى ما هو اسمى واكثر ضرورة للحياة . ناهياً اياها عن كل ما محذور ومضر بصالحها .

ويؤيد ذلك شعور كل واحد منا بتمييزه الجيد من الردي . والخير من الشر . والعدل من الظلم . وميله الى حب الخير والصلاح . وكرهه عمل الشر والطلاح . وقد بلغت كراهة الانسان للشر الى حد انه اذا تورط فيه سهواً يستحي من الاقرار به ، ويرغب في التنصل منه . وما ذلك إلا نتيجة شريعة ادبية مفطورة في الطبع تميل به الى الفضيلة واصحابها فيركن اليهم ويعتمد عليهم . وتنفره من الرذيلة وذويها فيجتنبهم ولا يثق بهم وباقوالهم . ومن ثم وضع المبدأ العام « الخير يُحَبّ والشر يبغض » .

واذا كنا حين نتأمل حركة الافلاك ونظام الكائنات البديع نضطرّ الى القول : إن الله قد سَنّ لها نظاماً طبيعياً لا تتعداه : فبالاولى نضطر الى التسليم بانه قد سن نظاماً ممتازاً لاصحاب الطبيعة الناطقة لكي يسيروا علية محافظين على كيانهم . وقد شهد بذلك رسول الامم قائلاً : والامم الذين ليس عندهم الناموس اذا عملوا بالطبيعة بما هو في الناموس كانوا ناموساً لأنفسهم مع انهم لا ناموس لهم . واظهروا عمل الناموس مكتوباً في قلوبهم ، وضميرهم شاهد وافكارهم تؤنب او تحتج فيما بينها « رو ٢ : ١٤ و ١٥ » .

هذا هو النظام الاول والناموس الطبيعي الذي به كان الله يسوس

المملكة البشرية من آدم حتى موسى . ولا يزال يسوس به الذين لم تصل اليهم بعد شريعته المكتتبة ، وبحسبه سيدين الذين تُوفُوا عليه ولم يحفظه ، ولولاه لما شجب قائين قاتل اخيه واستحق العقاب الزمني والابدي .

وبحسب هذا الناموس الطبيعي سار الآباء الابرار . هابيل ، شيت ، اخنوخ ، يوسف وايوب وأرضوا الله بحياتهم النقية ، بفضائلهم السامية ، بقرابينهم وأوائلهم الذكية ، إضافتهم الغرباء ، باكرامهم الوالدين ، باغاثتهم المساكين ، بانقاذهم المتضايقين ، بصفحهم عن الاعداء ، باحسانهم الى المبغضين ، باجتنابهم ارتكاب المحرّمات ، وبابتعادهم عن كل ما يشين .

فلما طفح الطغيان وقست القلوب . وخفّ تأثير الناموس الطبيعي دعت الحاجة الى اعطاء ناموس مكتتب هو ناموس الوصايا العشر التي اعطاها الله لموسى على لوحي حجر . وايّدها المسيح بل رفعها الى درجة اكثر كمالاً في عهده الجديد . قال القديس الذهبي الفم « ان الله تعالى قد تقدم في ابتداء خلقة العالم ورسم في قلوب البشر ناموساً طبيعياً أي نوراً إلهياً ومعرفة إلهية ترشد الانسان الى ما ينبغي فعله . ولكن لما رأى تعالى ان كثرة الخطايا والادمان عليها قد قد ابطلا من البشر تلك السنّة التي بها كانوا يهتدون الى معرفة الخير وتمييز الشر شاء بجودته غير المتناهية ان يمنحهم شريعة مكتتبة لكي يجدد بها رسم الناموس الطبيعي في قلوبهم » . وهكذا قال مار اسحق السرياني : انه لما قست البشر سلمهم شريعته منقوشة على حجر .

ان الهدف في الناموس الطبيعي والناموس المكتتب ، سواء كان

قديماً او جديداً واحد . وهو راحة المملكة البشرية . وصيانة الهيئة الاجتماعية من الشتات والتضعضع ، لتحيا بالراحة والسلامة في الحيــــاة الدنيا وتبلغ اخيراً الى الحياة الابدية بحسب قول رب المجد : ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا « مت ١٩ : ١٧ » .

ان الذي يكفّنا عن الشر ويقودنا الى عمل الخير نحو القريب انما حب الله وهيبته . قال الرسول : ان من يحب الله يحب اخاه « ايو ٤ : ٢١ » . نعم ان محبة الله هي التي تبعث على حفظ الوصايا . قال الرب : من كانت عنده وصاياي و حفظها فهو الذي يحبني . وان احبني احدٌ يحفظ كلمتي « يو ١٤ : ٢١ و ٢٣ » .

فاذا كانت هذه المحبة قد رسخت قبل ان يعطى الناموس المكتتب في قلوب الآباء الابرار الذين سبقوا موسى فكم بالأحرى يجب ان ترسخ في قلوبكم ايها الاحباء انتم الذين لكم فضلاً عن الناموس المكتتب : الناموس الطبيعي وناموس النعمة ايضاً الذي كتبه الروح القدس على قلوبكم واذهانكم بحسب قوله تعالى : اجعل شريعتي في ضمائرهم واكتبها على قلوبهم « عب ٨ : ١٠ » .

فانتبهوا لنفوسكم وحاضروا الى حفظ الوصايا لتنالوا الحياة المنشودة . افتحوا اذانكم لسماع صوت الضمير واصغوا الى صوت الروح . ولا تقسوا قلوبكم ، فان المتكلم في العهدين واحد . وهدفه واحد . وهو الابتعاد عن الشرّ وممارسة الخير . فحافظوا على الوصايا ، لأن الحياة بحفظها والموت بتجاوزها . فرّوا من الموت ولوذوا بالحياة ، متعكم الله بالحياة الهنيئة السعيدة لا تزول ولا تحول برحمته آمين .

الباب الاول

فى الوصية الاولى

الآية

انا الرب الهك ... لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي

« خر ٢٠ : ٢ و ٣ »

ان الغاية من تصدير الله اسمه المقدس في مفتتح هذه الوصية او بالحري في مفتتح الوصايا العشر هي لكي تراعى بدقة . فلا يفسح مجال لمعترض ليقول : اي سلطان لها ! لانها أعطيت بسلطان واجب الوجود الازلي . ولكي يكون لها تأثير عظيم في قلوب سامعيها . لأن تأثير الشريعة يتوقف على سلطان واضعها .

وهذه الوصية وإن خصّت اولاً بقوم فهي للجميع . لأنها احدى الوصايا الطبيعية التي غرسها الله في الانسان ليعرفه حق المعرفة كما أبان الرسول : لأن ما يعلم من الالهيات هو واضح فيهم إذ قد اوضحه لهم الله . لأن غير منظوراته قد ابصرت منذ خلق العالم إذ ادركت بالمبرؤات . وكذلك قدرته الازلية وألوهيته حتى انهم لا معذرة لهم « رو ١ : ١٩ و ٢ » فهي اذا لنا كما لأولئك . وما زال الله ينادينا بها

لكي نعرفه ونؤمن به ونعبده دون سواه . وقد أيّدها في العهد الجديد ولو بصورة اخرى في عدة اماكن . منها : انا الالف والياء يقول الرب الاله الكائن والذي كان والذي سيأتي الضابط الكل « رؤ ١ : ١٩ » .

لا فرق بين هذا القول الاخير والاول . لأن المعنى يجمعهما وإن اختلفا في اللفظ والصورة .

ان الله بقوله انا يستثني مَن سواه ويطالب ان نضع كل ثقتنا في ذاته القدوسة دون غيره . مذكراً ايانا بعنايته الالهية وبقدرته ورحمته وشفقته الابوية وبوحدانيته لكي نؤمن به ونتكل عليه . ونطيعه طاعة المحبة ونعبده من كل قلوبنا . هذه هي غاية القسم الايجابي من هذه الوصية : وهو انا الرب الهك . اما القسم السلبي وهو : لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي . فينهانا به عن اطلاق اسم الله على غيره . وعن وضع ثقتنا بآخر سواه كنقيض .

والايمان الذي تطالبنا به هذه الوصية هو نور فائق الطبيعة يفيضه علينا الله ابو الانوار لنصل به الى معرفة عظمته . وندرك شدة قدرته . وعظَم حنوّه . الامور التي يعجز عن فهمها ادراكنا الطبيعي .

ان حواسنا احياناً تغرر بنا فنرى مثلا الشمس الكبيرة كطبق والعود المستوي في الماء معوجاً ، اما الايمان الذي يهبه الله لنا بطريقة الوحي فلا يغرر بنا ، لانه صادر من الحق نفسه . بل يرينا ويعلمنا كل شيء كما هو . لذلك فحين نسمع قول الله : انا الرب الهك . لا يكن لك الهة اخرى تجاهي ، يتوجب علينا ان نرافق داود النبي قائلين : هو الرب الهنا ونحن شعبه وغنم رعيته « مز ٩٤ : ٧ » ، وان

تأهب لحفظ نواميسه مبتعدين عن المآثم ، لأن ناموس الرب بلا عيب
يرد النفس « مز ١٩ : ٧ » . وان نخلص له التعبد دون ان نتعارف على
سواه كما يوصي الناموس : الرب الهك تتقي واياه تعبد « تث ٦ : ١٣ »
ولا تتقوا الهة اخرى « ٢ مل ١٧ : ٣٥ » متحذرين من مآتي العبرانيين
الذين كانوا يعبدون الله والبعل معاً في ايام ايليا النبي . متجنبين خطة
السامريين الذين كانوا يعبدون إله اسرائيل والهة الامم . متحرزين من
طريقة اخاب الذي كان يرأس الشريعة ولكنه قتل نابوت اليزرعيلي طمعاً
في كرمه ، مبتعدين عن سبيل الذين جعلوا آلهتهم بطونهم ومدحهم في
خزيهم . متحاشين عن نهج الذين يقايضون النفس بالنفس . ويعتاضون
عن السماء بالارض . وعن الابديات بالزمنيات ، دون ان ينتبهوا الى قول
الرب : لا تستطيعون ان تعبدوا الله والمال « مت ٦ : ٢٤ » . وليست
حياة احد بكثرة امواله « لو ١٢ : ١٥ » .

ان ايماننا بوجود الله وبقدرته وخالقيته يبعثنا على ان نثق به
تعالى ونرجو عنايته بنا ومساعدته لنا في كل أوان . لأن تذكرنا انه
خلقنا وصنعنا ، واننا بنوه ورعيته يجعلنا ان نلقي همنا عليه ونثق به ثقة
قوية بانه يعتني بنا اعتناء صانع بعمل يديه . ويشفق علينا شفقة راعٍ
على قطيعه . ويرأف بنا رأفة ابٍ بابنه . نعم انه يعتني بنا اعتناء مضاعفاً
جسدياً وروحياً . وقد قال وهو الصادق في قوله : فاذا كنتم انتم
الاشرار تعرفون ان تمنحوا العطايا الصالحة لأبنائكم فكم بالحري ابوكم
من السماء يمنح الروح القدس لمن يسأله « لو ١١ : ١٣ » فهل من هبة
أعظم من هذه ؟ هل ان الذي يجود بالهبات العظيمة لا يجود بما
هو دونها ؟

إن هذه الاحسانات والنعم الابوية هي التي تضرم فينا محبة

الله ، إذ لا يستعبد الانسان إلا الاحسان . فمن ذكرها وشكر علي
اشتعلت فيه محبة الله . ومن أحبَّ الله سعد لا محالة ، لا سعادة جسد
تتقلب مع الزمان ، بل سعادة روحية لا تقوى عليها الطواري والاشجا
ولا تكدر صفوها البلايا والاحزان .

ان الفقراء والمساكين والبائسين يمتنعون عن بذل الصدقا
بحجة بؤسهم وعوزهم ، والمرضى يستثقلون مراعاة سنّة الصيام لضعفهم
والاميّون يعتذرون عن تعليمهم سواهم لجهلهم . ولكن هل من حج
تعفيهم عن محبة الله وهم يسمعون بان لعازر المسكين والمصاب جسم
بالقروح يتمتع باحضان ابراهيم الخليل ، واصّ اليمين الذي لم يمارس
شيئاً من فروض الدين يرفل في الفردوس . والخاطئة تتحول الى صف
القديسين والقديسات . أليست محبتهم لله هي التي رفعتهم الى تلك المنازل
المفرحة ؟ كما شهد الرب يسوع عن الخاطئة قائلا : لأنها أحبّت كثير
غُفرت لها خطاياها الكثيرة « لو ٧ : ٤٧ ».

ان محبة الله سهلة ومتيسّرة للجميع ، للاصحاء والضعفاء ،
للاغنياء والفقراء ، للكبار والصغار . وفي امكان الجميع الحصول عليها
اذا فتحوا لها قلوبهم وأحلّوها في نفوسهم .

ان القلب هو عرش الله . والله يرغب في ان يكون هذا
العرش دائماً مضمّخاً باطياب الطهر ومعطّراً بعرف المحبة . وان لا
يكون منقسماً بينه وبين سواه . ولذا يقول الرب في تلخيصه الوصايا :
احب الرب الهك بكل قلبك وكل نفسك وكل ذهنك « مت ٢٢ : ٣٧ »
هذه المحبة هي توجب علينا ان نلتصق بالرب ولا نهوى الانفصال عنه ولا
نبتغي سواه . ولذا يقول في القسم السلبي : لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي .

كان للامم على دور خروج آل يعقوب من مصر آلهة مختلفة. لذلك حذّرهم الرب قائلا : لا تكن لك الهة اخرى تجاهي . فهل اطاعوا امره يا ترى ؟ كلا ، لكنهم راغوا وباغوا وعبدوا البعـل وعشتروت ومولوك ورمضان وتموز والخ . ولذلك نالوا جزاء خيانتهم بطُرُق شتى كما سبق فانذرهم قائلا : لا تتبع آلهة اخر من الهة الامم ... لكي لا يشتد عليك غضب الرب الهك فيبيدك عن وجه الارض « مت ٦ : ١٤و١٥ » .

ان تلك الآلهة القديمة زالت حيث حلّ المؤمنون . ولكن هل زالت الوثنية معها ؟ . كلا . لكنها قامت مكانها الهة اخرى . آلهة معنوية كثيرة . اخصها المال ، والبطن ، والشهوات اللحمية . التي اسرت كثيرين لعبادتهـا بدءاً من دور المسيـح والرسل . ولذلك سميت منذئذ رباً وإلهاً ومعبوداً . قال السيد المسيح : لا تستطيعون ان تعبدوا الله والمال « مت ٦ : ٢٤ » . وقال بولس الرسول عن عبيد الشراهة : آلهتهم بطونهم ومدحهم في خزيهم « في ٣ : ١٩ » . وقـال في رسالته الى تيطس : فاننا نحن ايضاً كنا حيناً اغبياء ، كفرة ، ضالـــين ، مستعبدين لشهوات ولذّات شتى ، جارين على الخبث والحسد ، ممقوتين ، مبغضين بعضنا لبعض « تي ٣ : ٣ » .

ان الانسان عبد لمن يطيعه ويعلق بمحبته . فمن علقت نفسه بالمال ، او بنهم البطن . او بالشهوات المنحرفة صارت له الهة وحُسِب عابداً لها ولما كان العالم الآن طافحاً بمثل هؤلاء الاقوام المتعبدين المـال والبطون والشهوات ، اي بعابدي المادة . فلا نزال في حاجة كـبرى الى سماع هذه الوصية الاولى : انا الرب الهك ... لا يكن لك آلهة اخرى تجاهي الرب الهك تتقي واياه تعبد .

فلنتّق الرب ونعبده من كل القلب . ولا نميل الى محبة اخرى

تضاد محبته . ذلك ان محبة العالم عداوة لله « يع ٤ : ٤ » . فالمحبة اذا للمخلوقات كالمحبة للخالق ليست إلا شركاً بالله . وكأنهـــا تتخذ آلهة اخرى سواه . وقد نهانا جلّ اسمه عن ذلك بقوله : لا يكن لك الهة اخرى تجاهي .

فلنذعن لنهيه عابدين اياه دون سواه . لأنه إلهٌ يصنع الرحمة الى الوف من محبيه وحافظي وصاياه . وربٌ غيور يغتـــاض من الذين يتركونه ويسكب غضبه عليهم ويبيدهم .

وقانا الله واياكم من آفة الشرك ، وقوانا جميعاً لنحبه ونعبده كل ايامنا . واهّلنا لمكافأة حافظي وصاياه برحمته ونعمته آمين .

الباب الثاني

فى الوصية الثانية

— الآية —

لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما في السماء من فوق .
ولا مما في الارض من اسفل . ولا مما في المياه من تحت الارض .
لا تسجد لهن ولا تعبدهن .

« خر ٢٠ : ٤ و ٥ »

ان الله جلّ اسمه تأكيداً وايضاحاً للوصية الاولى القائلة : لا يكن لك اخرى تجاهي . اورد هذه الوصية الثانية . وبقوله لا تصنع لك منحوتاً ولا صورة شيء مما فى السماء من فوق ينهانا عن اتخاذ تماثيل وصور الشمس والقمر والكواكب للعبادة نظير البابليين والاثوريين والفرس والعرب الاقدمين والصابئين . وبقوله مما في الارض من اسفل ينهانا عن اتخاذ صور البشر والحيوانات والدبابات والزحافات للعبادة شبه المصريين والرومانيين والهنود وغيرهم . وبقوله مما في المياه تحت الارض ينهانا عن اتخاذ صور الاسماك والتماسيح وباقي الحيوانات المائية المعبادة مثل المصريين واليونانيين وغيرهم في ادوار الوثنية الاولى .

لقد عرفَ الانسان الله بواسطة الشريعة الطبيعية التي غرسها الخالق ونقشها على لوحي قلبه . وبها علم بانه هو وحده يجب ان يُحَب ويُعبَد ويُسجد له . فلما سقط في الخطية وضعفت قواه العقليه واظلم نور عقله بفساد طبيعته تطرّق الفساد الى عقيدته في التوحيد . فأخذ يؤمن بآلهة كثيرة . ثم عبدها بهيئة تماثيل وصور مختلفة لا حسّ لها ولا حياة مستبدلاً مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الانسان الذي يفنى والطيور والزحافات « رو ١ : ٢٣ » تلك اشنع حال يكرهها الله كراهة انسان غيور لقرينته الشرعية اذا زاغت ونشزت ملتحقة بسواه « ارم ٣ : ٢ - ٢٢ » .

وهذه الوصية وان نهت عن المنحوتات وصور الآلهة الكاذبة ردعاً للشعب عن الطغيان والضلال وراء العبادة الوثنية التي كانت تمارسها الامم المجاورة لهم . لكنها لا تمنع عن اتخاذ الصور والتماثيل رمزاً وزينة وتذكاراً . فموسى كاتب الناموس امر بصنع كاروبيم لمجرد الزينة والاشارة . ورفع حيّة النحاس رمزاً ، واقام سليمان تماثيل اسود على جانبي كرسيه وثيراناً تحت بحر النحاس وزيّن جميع حيطان البيت بنقوش كروبيم ونخيل وبراعم وزهور داخلاً وخارجاً . والعالم مملوء من تماثيل الابطال تذكاراً لجهادهم الفائق وعبقريتهم لا غير . فلم يصب إذاً قدماء العبرانيين والذين اخذوا عنهم بعض مبادىء الدين حيث وهموا النهي على علاته ومنعوا من صناعة النقش والتصوير ولو لمجرّد الزينة ، امرٌ أدى الى تأخر الفن في بلادهم . واصابت الكنيسة في اتخاذها صور المسيح وقديسيه كدليل يرشد الناس الى ما كانوا عليه من الفضل والقداسة ليقتدوا بسيرتهم وينسجوا على منوالهم : لأن صور الشبح لاعين الناظر كسماع سيرته باذن السامع . لا بل ان الحقائق تصل الى

النفس بمنتهى الوضوح والجلاء عن طريق النظر اكثر من وصولها اليها عن طريق السمع . ومن ثم يقول الفاضل القس ابو الخير ابن الطيب في كتابه ترياق العقول : إن الصور تاريخ بسيط للبسطاء . وقال الفاضل ابو نصر التكريتي في الباب الخامس والثلاثين من كتابه المرشد : ان الصور عنـــد حاسّة البصر تجري مجرى الاحاديث . وروى مار افرام السرياني « ٣٧٣م » في رسالته الى راهب اسمه يوحنـا : ان الذين يتناظرون في الحروب العالمية ترسم لهم صور على الحيطـان وفي الالواح تنقش فيها رواية الحرب ... وكثيرون صوّروا جهاد القديسين في هيا كل الصلوات لمغايرة المتوطدة قلوبهـم . وهـــكذا يقول القديس بسيليوس الكبير : ما يعجز التاريخ عن تعليمــــه بالسماع يقرّبه التصوير الصامت بالقدوة والمثال . وكذا أيضاً قال مار غريغوريوس التنيسي : ان التصوير الصامت يتكلم على الجدران فيقدم اكبر الخدمات .

كم من الزائرين لهذه الكنيسة (١) تمكنّـا بوجيز الـكلام ان نعرفهم سيرة القديسين الشهداء الاربعين وذلك بلفتة الى رسمهم الفصيـح المثل امامهم . ومن ينكر هذه الفائدة وهو يرى المدارس تبذل قصارى جهدها في صنع الخرائط والرسوم لتفهم الطلاب مقصودهـا من بيان وحدود البلاد وبيان نوع اصحاب الرسوم . وكذلك المدارس الاحـدية الراقية ترفق قصص الدرس بصورها لـكي يسهل تعلـّمها ويكثر تأثيرها في دارسيها .

فالنهي إذاً في هذه الوصية انما هو عن اتخاذ الصور والمنحوتات كآلهة للسجود لها وعبادتها لا غير . لأن ذلك مما يهين مجد الله ويجعل خلائقه في درجته . تعالى الله علواً عظيماً عن ذلك ، فانه العلي الازلي

(١) كنيسة الشهداء الاربعين في ماردين .

الذي لا مثيل له بين خلائقه . ولذا يقول بعدئذٍ : لا تسجد لهن ولا تعبدهن .

ان السجود على ثلاثة انواع : الاول مَدَني وهو الذي يُقدَّم في التحية للملوك والرؤساء وذوي المقامات السامية . وقد قدمه ابراهيم لبني حث ، ويعقوب لعيسو اخيه ، وبنو يعقوب ليوسف اخيهم ، وموسى ليثرون حميه . والثاني اكرامي وهو الذي يُقدَّم للقديسين وللاشياء المكرسة لله . فقد سجد بنو خذنصر لدانيال ، وسجد يشوع بن نون امام تابوت العهد . والثالث عبدي وهو الذي يقدم بتعفير الجبهة . وهذا لا يقدم إلا لله وحده . كما قيل : للرب إلهك تسجد واياه وحده تعبد « مت ٤ : ١٠ » .

ان هذه الآية اوردها السيد المسيح في ختام صومه حينما عرض عليه ابليس ممالك العالم ومجدها لأنه إليّ قد دُفع وأنا اعطيه لمن اريد . فان سجدت امامي يكون لك الجميع « لو ٤ : ٦ و٧ » . ما اكبر وقاحة ابليس خزاه الله . فانه يُعِد ان يعطيها لمن يريد والحقيقة : الرب يُفقر ويُغني « اصم ٢ : ٧ » وللرب الارض بملئها « مز ٢٤ : ١ » وليست له ليعطيها لمن يريد . انه يطالب الفادي بالسجود له وقاحة . بينما لا يجوز السجود بطريق العبادة لغير الرب ، ادّعاء بدون بيّنة ، وعود بلا وفاء ، لأنه كذاب وابو الكذب « يو ٨ : ٤٤ » والصحيح ان ابليس يعرض محبة الرئاسة العالمية وامجاد هذا الدهر على كل البشر كفخ لكي يصطادهم الى طاعته ، يعدهم كاذباً بربح العالم ولكن لخسران انفسهم حقاً . لأنه ماذا ينفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه « مت ١٦ : ٢٦ » وما ابشع البدل الذي يطالب به : ترك الله والسجود له دون الله . فبئست

الوقاحة هذه . واذا كان قد فعل ذلك نحو ربه وخالقه فماذا لا يفعله نحو اتباعه . فعلينا إذن ان نكون متيقظين .

اما الله فيقول لتاركي عبادته والمعرضين عن السجود لعزته والمنحرفين نحو آلهة اخرى دون قدرته : لأني انا الرب إلهك . إله غيور ، وكأني به يقول : ان غيرتي تأنف من ان يشاركني احدٌ في مجدي وكرامتي لأني لا اعطي كرامتي لآخر « اش ٤٨ : ١١ » ونفسي تكره ان يباريني احد في سلطاني ، لأني انا المتسلط في مملكة الناس واعطيها من اشاء « دا ٤ : ٢٥ » . افتقد ذنوب الآباء في البنين الى الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ « حز ٢٠ : ٤ » .

ان الله لا يكتفي بمقاصصة تاركيه بل يمد قصاصه الى اولادهم الى الجيل الثالث والرابع اذا ساروا على خطتهم سواءً كان بطريق التأديب او بطريق الامراض الوراثية التي تتسلسل اليهم من والديهم ، اذا كانوا قد توغلوا في الخلاعة والشهوات وتعاطي المسكرات وعرضوا انفسهم الامراض الخبيثة . فيكونوا عندئذ ضعيفي الاجسام ونحيفي العقول، لأن اعمال الآباء الاشرار بلاء لانسالهم . وكل نقص في السلف ينتقل كارث الى الخلق . اللهم الا ان وجد انتباه وتجرّد النسل بالتهذيب وباجتناب تلك المعائب والاعراض المشينة ، فيضحوا بخلاف ما كان عليه الآباء . ويصح فيهم القول عندئذ من الشوكة وردة .

ثم هلموا فاسمعوا وعد الله الأمين في اقواله والصادق في وعوده نحو الذين يحفظون وصاياه ولا يحيدون فيها قيد شعرة . فقد مدَّ جزاءه على مبغضيه حتى الجيل الرابع فقط ، واما مكافأته لمحبيه وحافظي وصاياه . فقد مدها الى الوف من الاجيال ، والى الوف من محبيه . لأن رحمته فوق غيظه الى حد لا يُدرَك .

فانتبهوا ايها الاحباء ولا تغتروا بوعود ابليس الكاذبة ، ولا باقوال خدامه العرافين والمنجمين والمتفائلين والسحرة المسكرة : لأن الاغترار باقوالهم ووعودهم شرودٌ وزيغ عن الله ، وطاعة وعبادة لابليس ، بل بالحري خافوا من وعيد الله نحو مبغضيه لأن الوقوع في يدي الله مخيف « عب ١٠ : ٣١ » واجتهدوا بحفظ وصاياه وبالاقبال على عبادته والارتواء بنجوى محبته لتفوزوا باحسانه انتم ونسلكم ونسل نسلكم الى الوف من الاجيال . اعبدوا الرب بخوف ، وتمسّكوا به برعدة . قبّلوا الابن لئلا يغضب فتبيدوا عن طريقه . فالطوبى لجميع المتكلين عليه « مز ٢ : ١٢ » .

وقاكم الرب من كل طرق الضلال ، واضرم فيكم محبته لتُقبلوا الى عبادته بكل صدق واخلاص ، وجعلكم انتم وانسالكم غريقي احسانه برحمته آمين .

الباب الثالث

فى الوصية الثالثة

— الآية —

لا تحلف باسم الرب إلهك كاذباً « خر ٢٠ : ٧ »

لا تحلفوا البتة « مت ٥ : ٣٤ »

لما سقط ابليس وعيّن آدم ونسله ورثة لمنزلته ومنزلة رفاقه
الساقطين أخذ يحسده وفكر في ان يسقطه عن رتبته . فلم يجد وسيلة
الا الكذب والغش والثلب . فعمد الى حواء بزيّ الحية وقال لها :
لن تموتا بل يوم تأكلان منه تنفتح اعينكما وتكونان عارفين الخير
والشر . « تك ٣ : ٥ » وبهذه الطريقة اغوى حواء فقطفت وأكلت، ثم
اعطت رَجُلَها فأكل . ومن ثم نالا جزاء مخالفتهما الطرد من الفردوس ،
والولادة بالاوجاع ، والخبز بعرق الجبين ؛ وذلك قصاص لهما
ولكل نسلهما .

كل هذا الانقلاب احدثته اكذوبة الحية القديمة . ولهذا يقال :
ان الكذب هو مفسد النظام ، وباعث التشويش ، وعاكس الامور
المستقيمة ، ومفرق الاخوان والاحباء . وقيل عن ابليس : انه كذاب

وأبو الكذب « يو ٨ : ٤٤ » لأنه اول من اخترع الكذب واستعمله.

ولم يكتف ابليس بهذا فقط بل أوحى الى الناس الاشرار أن يتخذوا لهم دون الله آلهة من المخلوقات يحلونها محله ويقسمون بها . فاراد الله أن ينقلهم من هذه العادة الرديئة ، ووضع لهم شريعة العدل التي تسمح بالحلف بالله فقط صادقاً . حيث قال لهم : لا تحلف باسم الرب إلهك كاذباً « خر ٢٠: ٧ » أو لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا .

لقد نصب ابليس شجرةً ذات فرعين رديين هما الكذب والكفر أي الشرك . فجاء الله بهذه الوصية كفأس حادة يقطع بها هذين الفرعين . فبقوله : لا تحلف باسم الرب إلهك يقطع جذور كفر الوثنية القائلة بتعداد الآلهة . وبقوله كاذباً يستأصل فرع الكذب الممقوت والردي : قاصداً توطيد الحق . وقد أكد ذلك في سفر اللاويين حيث يقول : لا تكذبوا ولا تغدروا أحدكم بصاحبه . ولا تحلفوا باسمي بالكذب « لا ١٩ : ١٢ » وإن قيل لِمَ يا ترى ؟ فيجيب : فتدنّس اسم الرب إلهك . وقد قال الحكيم : كراهة الرب شفتا كذب . أما العاملون بالصدق فرضاه « ام ١٢ : ٢١ » .

واذا كان الكذب مجرداً هكذا ممقوتاً فكم بالحري باسم الله كاذباً .

ان القديس مار يعقوب السروجي يجعل من يحلف كاذباً دون ابليس وشراً منه . لأن ابليس وان كذب على حواء ولكنه لم يحلف . وربما لو طالبته بالحلف قائلة : احلف لي باسم الرب انك ما تكذب علي لامتنع ولم يحلف خوفاً من اسم الجلالة . لأن من يحلف كاذباً ينكر الله فعلياً بدون عذاب وبدون جلد . لا بل هو شر من الكافرين

الناكرين ، لأن الكافر لا يعرف الآله الحق ولا يقرّ بوجوده . أما الحالف بالكذب فيعرفه ويقر بوجوده ، ولكنه يكذب به مستخفاً . وكان خيراً له لو لم يعرفه : من أن يعرفه ويستهزىء به بجسارة . ما الفائده من معرفته اياه ؟ لأنه لأجل ربح زهيد أو علّة بسيطة يبيعه عفواً . ان من يحنث لأجل الربح يُري ان الذهب لديه أعظم من الله . لأنه لو كان الله عظيماً في عينيه كما هو لما استخف باسمه وحلف باطلا ولو اعطي كل العالم .

آه من الذين ابتلوا بهذا الداء ، لأن اسم الله لديهم اصبح كصرافة أي كدراهم ناعمة ، متى أعوزهم التسديد اقسموا ورصدوا الحساب ببيع اسم الله بثمن زهيد .

ان في هذا لعجباً . اننا عندما نملك حاجة ثمينة لا نستعملها بمواترة حرصاً على صيانتها ، ولكننا نتجاذب اسم الله بدون تبصّر مستصغرين الامر . غير ان الله قد أعلن : أنه لا يبرّيء من يحلف باسمه كاذباً بل ويشجب من ينطق باسمه باطلا .

إن العلويين لا ينطقون باسم الله إلا عند تسبحة التقاديس . اما الترابيين فانهم يتلفظون به في كل الاعمال والاحوال بدون تروّ وبغير احترام . يستوردونه شاهد زور لأجل ربح زهيد في زمن البيع والشراء غير هيابين وغير وجلين من عاقبة الظلم الوخيمة ومن نتيجة الطمع الممقوت . قال الحكيم : جمع الكنوز بلسان كاذب هو بخار مطرود لطالبي الموت « ام ٢١ : ٦ » وقال ابن سيراخ : الرجل الحلاّف يمتلىء إثماً ولا يبرح السوط من بيته « سير ٢٣ : ١٠ » .

أيها الفطن ابغض الكذب لأنه يبعدك عن الله . احترم اسم

خالقك الذي ترتعد منه الملائكة وترتج له الشياطين ، ولازم الصدق فانه بركة وخير .

الكذب شجرة مملوءة موتاً نبتت في العالم بواسطة المياه التي خرجت من فم الحية ، ووقف موسى يطرد الناس بوصيته عن الاقتراب اليها ، وهو يناديهم بصوت جهور : أياكم والكذب لأنه مملوء موتاً . ولما جاء واضع شريعة الكمال ووجد موسى ينازع الكذبة بجد ونشاط بينما واحد يسمع ومئة لا يسمعون أشفق على تعبه وأراد أن يستأصل القسم بالكلية فقال : لا تحلفوا البتة لأن الاذان بالحلف صادقاً يفتح باباً للحلف كاذباً . فلذلك اغلق عليه الباب حتى لا يكون منه مدخل للكذب .

ان الفادي رفع البشر رويداً رويداً الى ذروة الكمال . فبواسطة الناموس نهاهم عن الكذب وأذن لهم أن يحلفوا صادقاً عند الحاجة باسم الله . لكي يتعلموا بان الله موجود وانه واحد . ولما جاء دور الكمال نهاهم عن الحلف كلياً فقال : لا تحلفوا البتة . ولم يكتف بنهيهم عن الحلف باسمه العزيز فقط بل حذرهم من الحلف بغيره ايضاً . فقال : لا بالسماء لانها كرسي الله ، ولا بالارض لانها موطد قدميه ، ولا باورشليم لانها مدينة (الله) الملك العظيم ، ولا برأسك لانك لا تقدر ان تصنع شعرة واحدة بيضاء أو سوداء . لأن كلها به قائمة كما قال هو له المجد : من يحلف بالمذبح يحلف بالمذبح وبما عليه . ومن يحلف بالهيكل يحلف بالهيكل وبالساكن فيه « مت ٢٣ : ٢٠ و ٢١ » أجل ان كل هذه المخلوقات منسوبة اليه . فاذا كان قد نهى عن الحلف بالكرسي وبالمدينة المنسوبتين اليه فمن يجسر بالحلف بذاته .

أي لزوم للقَسَم لدى من كان صادقاً . إن نُزِعَ الطمع من الضمير لا حاجة الى القَسَم أبداً ، وإن فُرض بوجوبه فتوجد سنّة تنهي عنه فلا يجوز مخالفتها .

بحسب الناموس القديم كان يُشجَب من يحلف باسم الله كاذباً اما بحسب الناموس الجديد فيشجب من يحلف لغير ضرورة قصوى ولو بالصدق . واصبح يُعتبر الحالف بالصدق لغير ضرورة قصوى كالحالف بالكذب قديماً . قال « لا تحلفوا البتة » فاعتبروا الوصية الناهية ولا تتراخوا في حفظها . انني لو طالبتكم بشيء منه منّة علي لما منعتموني عنه ، والحق جلّ اسمه يطالبكم فلِمَ لا تلبون طلبه . لا تتراخوا امام العادة ، لأن من تراخى امامها غرق في الخطية لا محالة . ومن اعتاد القسم ولو اقسم صادقاً لا يوثق به ، بل ان قسَمَه بدون داعٍ اول شاهد على كذبه ، ولكن ان تمسّك الانسان بعادة عدم الحلف فمتى تكلم يصدقه الناس ويدافعون عنه بانه صادق وبسبب صدقه يخاف الحلف .

إن مشترع العهد الجديد عهد الكمال نهى عن الحلف بتاتاً لأن الصدق يقوم بالنعم نعم وباللا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير « مت ٥ : ٣٧ » فاحذروا الحلف يا اهل الفطنة . لأن الشرف يفوق الحلف . ان الطائش والمضطرب يحلف بدون داعٍ ولا يُصدَّق . اما المكين والهادئ يُصدّق بدون ان يحلف .

فاتزحوا عن طريقة الاقسام المهلكة . وهلموا فعاهدوا الرب

بأن لا تحلفوا البتة . فذلك سهلٌ لكم ان اردتم حفـــظ الوصية المحيية . واعتمدوا على الصدق لأنه اسٌ السلامة والنجاح وركن النجاة والفـــلاح .

اعطنا يارب ان نحفظ وصاياك ونُحفظ بها ، وان يكون اسمك العزيز دوماً مبجلا ومحترماً لدينا .

الباب الرابع

في الوصية الرابعة

الآية

اذكر يوم السبت لتقدسه « خر ٢٠ : ٨ »
فلا يحكم عليكم أحد في المأكول أو المشروب أو من قبيل
أعياد أو رأس شهور أو سبوت
« كو ٢ : ١٦ »

كما ان الارض بملئها للرب « مز ٢٤ : ١ » كذلك الايام كلها للرب . وكما انه قد اختص له بعض الاماكن على الارض لأجل تقديس اسمه وتقديم العبادة لعزته الالهية . كذلك قد اختص لذاته يوماً معيناً من كل اسبوع يروم منا بنوع خاص تكريسه لخدمته الالهية .

وقد ارتأى بعضهم ان تخصيص يوم للرب في الاسبوع كان بعد خلقة المبروءات مباشرة . حيث قيل « وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأن فيه استراح أي انتهى من جميع اعماله التي ابدعها « تك ٢ : ٣ » بينما غيرهم ينفون ذلك باعتبار ان ايام الخليقة كانت ادواراً لا اياماً طبيعية مؤلفة من اربع وعشرين ساعة .

وكان للبابليين (١) ايام سبوت في بعض أشهر السنة يحتفلون بها . وفروضها تقريباً تعادل ما ورد في شريعة موسى بهـذا الصدد . أمر يدعونا الى التسليم بان الآباء أيضاً حافظوا على هـذه السنة . ولذا لما اعطى الله الوصايا العشر على يد موسى النبي لم يُعلِن الوصية الرابعة كجديدة سنّها للمرة الاولى بل يُعلنها كوصية قديمة جدّدها كما يتضح من متن الوصية « اذكر يوم السبت لتقدسه » .

وقد أوضح بعدئذ طريقة تقديسه حيث قيل « ستة أيام تعمل عملك ، وأما اليوم السابع فهو سبت للرب إلهك . لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك . لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع » .

وكان قصد الله من هذه الوصية لهم عدا أخذ الراحة أولاً ان يذكرهم بان لهم وللمخلوقات خالقاً يقتضي عليهم أن يعرفوه . ثانياً ان ينهاهم عن الاشغال الخدمية لكي يستريحوا من مشقتها ويتفرّغوا لشكره وعبادته .

ويبين الزام حفظ هذه الوصية من القصاص الذي حتم به الله على من يتعداها . ذلك انه لما وَجد رجل يحتطب حطبـاً يوم السبت وقُدّم الى موسى كان قول الرب لموسى « قتلا يُقتل الرجل ، يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة » « عدد ١٥ : ٣٢ - ٣١ » .

ويبين أيضاً من تهديد الرب المعتدين عليها على عهد ارميا النبي بقوله : وان لم تسمعوا ان تقدسوا يوم السبت ، ولا تحملوا حملا

(١) كتاب اصداء التوراة صح ١٧ و ١٨ .

وتدخلوا به من أبواب اورشليم في يوم السبت فاني أضرم ناراً في أبوابها فتأكل قصور اورشليم ولا تطفأ « ارم ١٧ : ٢٧ » .

وقد تم ذلك واعتبر ان كسر السبت كان أحد أسباب تلك البلايا التي أتت عليهم وعلى مدينتهم . فلذلك لما رأى نحميا قوماً يدوسون معاصر في السبت ، ويأتون بحزم ويحملون حميراً ويدخلون اورشليم في يوم السبت بخمر وعنب وتين وكل ما يحمل خاصمهم وقال لهم : ما هذا الامر القبيح الذي تعملونه وتدنسون يوم السبت . ألم يفعل آباؤكم هكذا فجلب إلهنا علينا كل هذا الشر وعلى هذه المدينة « نح ١٣ : ١٧ و ١٨ » ثم نهاهم عن هذه الاعمال وكلف اللاويين بحراسة الابواب لأجل تقديس يوم السبت .

لقد صارت اليهم كل هذه الوصايا والنواهي لكي يتذكروا الخالق ويتفرغوا لتمجيده اقله في يومه . ولكنهم أبوا الاذعان وضلوا في العصيان . والذين قصدوا مراعاتها انفسهم زاغوا عن الجادة وتطرفوا في حفظها متخذين يوم الراحة فسحة لكسلهم ، وانتقدوا الرسل الجائعين حتى على فركهم السنابل سداً لجوعهم . كما انتقدوا الرب يسوع نفسه على شفاء مفلوج واعسم ، بينما لو امعنوا البصيرة في فرائض الناموس الآمرة بمضاعفة الضحايا يوم السبت لعلموا فروض التكريم والاجلال والمطالبين بهما في ذلك اليوم ووجدوا ذاتهم مخطئين ، لأن الله لم يقصد من نهيه اياهم عن اشغال الحياة المادية إلا اشتغالهم في وقت الفراغ بايفاء واجباتهم الروحية الهامة وبكسب المنافع والمساعدات السموية .

ولما كانت الوصية الرابعة مضاعفة ، أي قسم منها طقسي ، وهو تقديم ذبائح ، ومراعاة فرائض عديدة ، وتحديده بيوم دون سواه ..

وقسم ادبي وهو تخصيص يوم يتفرغ فيه للعبادة للرب . فقد أبطل في العهد الجديد القسم الاول الطقسي كما أبطلت بقيـــة الفرائض الطقسية الرمزية ، كقوله تعالى « كان الناموس والانبياء الى يوحنا ومنذئذ يبشر بملكوت الله » لو ١٦ : ١٦ » وحُفظ القسم الثاني الادبي حيث خصص به اول ايام الاسبوع أي يوم الأحد الذي فيه بدأت الكائنات وأبدع النور . وفيه الرب يسوع بعد اتعاب وآلام كثيرة دخل الراحة الابدية بقيامته . ولأن فيه ايضاً تكوّنت الكنيسة المسيحية بحلول الروح القدس. وهو صورة غير كاملة ليوم الراحة الابدية الذي نؤمل التمتـــع به في حضن الله بعد اتعاب هذه الحياة وحروبها ومشقاتها .

والدليل الكتابي على ترك الرسل يوم السبت وتمسّكهم بالأحد هو اولاً ما قاله الرسول بولس في رسالته الى اهل كولوسي : فلا يحكم عليكم احد في المأكول والمشروب او من قبيل اعياد أو رأس شهور او سبوت مما هو ظل المستقبلات « كو ٢ : ١٦ و ١٧ » مشيراً بذلك الى بطلان الفروض الناموسية التي كانت ظلا للامور المستقبـــلة الحقيقية . فالسبت إذن واعياد العهد القديم كانت ظلا للاحـد ولأعياد العهد الجديد .

ثانياً : شهادة سفر الاعمال على ان يوم الاحد كـــان يوم الاجتماع لخدمة الاسرار حيث يقول : وفي اول الاسبوع لما اجتمعنا نكسر الخبز كان بولس يفاوضهم وهو مزمع ان يسافر في الغد وأطال الكلام الى نصف الليل وكانت مصابيـــح كثيرة في العلية التي نحن مجتمعون فيها « اع ٢٠ : ٧ و ٨ » .

ثالثاً : توصية القديس بولس المؤمنين ببذل الاحسان فيـه

حيث يقول : واما ما يجمع للقديسين فكما اوعزت الى كنائس غلاطية كذلك فاصنعوا انتم ايضاً . في كل اول اسبوع ليعزل كل امرء منكم عنده ويخزن ما وفق اليه لئلا يكون الجمع عند قدومي اليكم « اكو ١٦ : ١ و ٢ » .

والبرهان على ان الكنيسة لم تعمل شيئاً في هذا التغيير سوى انها وافقت بذلك امر الله وغايته هو ان حفظ يوم الاحد كيوم الرب كان عمومياً وواحداً في الكنيسة منذ ابتدائها كما تشهد القوانين الرسولية والكنسية ، وكما يتضح من التاريخ والتقليد .

فالثمانون من قوانين الرسل . والثاني من تعليم ادي المبشر يقولان: لتكن خدمة (المزامير) وقراءة الكتب المقدسة والقداس في يوم الاحد لأن فيه قام الرب من القبر وفيه سيظهر اخيراً .

وورد في الباب الحادي والعشرين من كتاب دسقالية الرسل : ان الذين يسبتون يشبهون الجالسين في المناحة حيث لا يوقدون سراجاً ولا يضرمون ناراً ولا يعملون عملا .. اما انتم فسرّوا في يوم الاحد ، ومذنب هو من يضغط نفسه فيه .

وجاء في رسالة برنابا التي فيها يسمي يوم الاحد اليوم الثامن ليحفظ اليوم الثامن بفرح وابتهاج .

وقال اغناطيوس النوراني « ١٠٧م » في رسالته الى اهل مغنيسيا : ان الذين كانوا يعيشون تحت نظام الاشياء القديمة اعتنقوا الرجاء الجديد ، فلا يحفظون السبت ابداً ، لكن يوم الاحد الذي فيه

طلع نجم حياتنا بفضل الرب وموته . وهذا السر الذي ينكره كثيرون وهو ينبوع ايماننا ..

وقال الفيلسوف النابلسي القديس الشهيد يوستينوس « ١٦٧م » في كتاب محاماته ما نصه : اننا نجتمع في اول الاسبوع جمهورياً كأننا نغتصب رحمة الله ...

وقال ترتوليانوس « ١٦٠ - ٢٤٠ » كان يوم الاحد يعتبر ايضاً عند جميع المسيحيين يوم فرح وبهجة بالصلاة وقوفاً .

وهكذا شهد عن الاحد العلاّمة ابن ديصان « ٢٢٢م » في كتابه شرائع البلدان صح ٢٩ قائلا : هوذا كلنا حيث نحن باسم المسيح الواحد ندعى مسيحيين . وفي يوم الاحد الواحد نجتمع .

وقال العلاّمة اوريجانوس « ١٨٥ - ٢٥٤ » والاحـــد الذي يعتبر عيداً عمومياً .

ونهى المجمع النيقاوي الاول المسكوني « ٣٢٥م » في قانونه العشرين عن استعمال الركوع في ايام الاحاد .

كل هذه الشهادات تثبت ان الكنيسة من عهد الرسل اعتبرت يوم الاحد يوم الرب ، ويوم الاجتماع للعبادة . اما اوامر الملوك المسيحيين في شأنه فلم تكن للكنيسة فحسب بل لكل اقطار المملكة التي ضمّت يومذاك امماً متعددة ومذاهب مختلفة كما يتضح ذلك من هذه الاوامر نفسها .

فقسطنطين الكبير اصدر امراً في ٧ آذار سنة ٣٢١م مؤداه : ليسترح كل قضاة المدينة واهلها وجميع اهل الحرف والصنائع في يوم

الشمس المكرم . اما الذين يعيشون في الريف فلتكن لهم الحرية المطلقة في المواظبة على الفلاحة . وكثيرا ما يحدث عدم يوم ملايم كالأحد لبذار الحبوب وغرس الكروم . فلا ينبغي إذن ان يخسر الخلق هبات السماء بتضييع فرصة ملايمة تسنح لهم « مجموع الشريعة المدنية ك٣و١٢و١٣ »

وغراطيان ووالنطينوس وثاودوسيوس الكبير اصدروا امرا سنة ٣٨٦م بوجوب ابطال كل المنازعات في المحكمة وكل الاشغال في يوم الاحد .

وثاودوسيوس الصغير ٤٢٥م منع حضور المسرح وملاعب الخيل يوم الاحد « ص ٢٦٦ » .

ومما لا ننكر ان الكنيسة المسيحية قد رضيت بتمييز السبت موقتاً في بعض الجهات نظرا لكثرة المتنصرين من اليهود ، فكانوا يجتمعون فيه ايضاً كما روى سوزومين المؤرخ قائلا : ان اهل القسطنطينية ومدن اخرى عديدة كانوا يجتمعون يوم السبت كما في اليوم التالي اي الاحد ، وهي عادة لا تتبع في رومية او في الاسكندرية « تاريخ الكنيسة ك ٧ ص ١٥٧ » لأن تلك الكنائس كانت تجتمع في الاحد فقط .

قال آباء مجمع اللاذقية الافريجية « ٣٦٤م » في القانون السادس عشر : يجب ان يقرأ يوم السبت الانجيل والكتب الاخرى . وفي القانون التاسع والاربعين : لا يجب ان يُقدّم قرباناً في الصوم الاربعيني إلا في السبت والاحد . ولا تزال كنيستنا السريانية تراعي هذا القانون حيث تقدم القربان في الصوم الاربعيني يومي السبت والاحد دون بقية الأيام .

ولكن وان امتاز السبت بالاجتماع فيـــه في بعض اماكن وبتلاوة الكتاب المقدس وبتقديم القربان ايام سبوت الصيام فانه لم يكن يوم عطلة ، وكان التعطيل فيه يعتبر من العادات اليهودية البحتة . كما يتضح من القانون التاسع والعشرين لمجمع اللاذقية المار ذكره الذي حذا فيه الآباء حذو الرسول بولس ونهوا عن حفظ السبت اي عن تبطيل العمل فيه قائلين : يجب على المسيحيين ان لا يتمسّكوا بعوائد يهودية ويبطلوا يوم السبت ، بل ليشتغلوا فيه ، وان استطاعوا فليكرموا يوم الاحد كمسيحيين . قالوا ان استطاعوا لأنه كانْ يوجد قسمٌ من العبيد قد آمنوا بالمسيح ، وهؤلاء كانوا مضطرين للطاعة لمواليهم .

وفي نظام كنيستنا السريانية بيّنة قوية على تمسكها بحفظ يوم الاحد لأن من عصر معلميها مار افرام الاول ومار اسحق ومن بعدهم نظمت فصول الكتاب المقدس وطقوسها على احاد السنة . وخصص بكل احد منها فصولاً وطقساً .

وهي لا تزال ترنم في مساء كل احد بلغتها المقدسة السريانية : لغة سيدنا المسيح ورسله ما ترجمته .

« لعظم يوم الاحد فطوبى لمن يحفظه بايمان ، لأن فيه قام ربنا من القبر وآمنت الامم بالآب والابن والروح القدس الاله الواحد .

قد اطعمتنا يا ابن الله جسدك ودمك في هذا الاحد الزائل . فاجعلنا اهلاً لنسبح عن يمينك ونشاهد تحننك في ذلك الاحـــد الذي لا يزول .

فاذْ قد تأكدتم أيها المؤمنون من انْ يوم الرب في العهـــد

الجديد هو يوم الاحد . عليكم إذن ان تعرفوا الواجبات المطلوبة منكم فيه لأجل تقديسه . انكم تطالبون بالامتناع عن كل عمل خدمي غير ضروري منهي عنه . وبحضور القداس وسماع كلمة الله . ويليق بكم ان تمارسوا ما يمكنكم من الاعمال التقوية والخيرية ، كمطالعة الكتب الروحية . واستماع العظات الدينية والادبية ، وزيارة المرضى والمسجونين والأقارب والاصحاب توطيداً للمحبة . والخلاصة كل ما يسر الله وينفع القريب . وبعد حضوركم القداس لا تنهون عن راحة وانشراح يليقان بالمسيحي الحقيقي بشرط ان تبقوا لنفوسكم زماناً كافياً لتغذيتها بكلام الله وممارسة الافعال التقوية والخيرية كالتي مر ذكرها .

ودونكم ما ينهي عنه القديس مار يعقوب الرهاوي في القانون الثالث والعشرين من قوانينه الكنسية حيث يقول : لا يحل المؤمنين ان يبيعوا ويشتروا شيئاً في يوم الاحد المقدس وفي الاعياد السيدية . ولا يجوز ان يسافر احد في طريق إلا اذا كان في مكان خاو او في صحبة كثيرين ، او في اعمال ضرورية ، او بغصب الحكام او لعوارض اخرى اضطرارية . « هدايات صح ٦٠و٦١ »

والخلاصة . يجوز تكميل اعمال الرحمة وكل الاعمال الضرورية كمعالجة المرضى وخدمتهم ، والمدافعة عن النفس ، واطفاء الحريق ، وانقاذ الغريق ، وكل ما يؤول لحفظ الحياة .

فاعتبروا ايها الاخوان بالوصايا المار ذكرها واحفظوها لتكون لكم بركة وسعادة . واياكم والتهاون بها . فان ذلك ضرر لكم

وشقاء وبعيد كل البعد عن المروءة والانصاف . ان الرب لم يطالبكم بنصف الاسبوع مع انه لو طالبكم بذلك كان من باب العدل لانكم مركبون من نفس وجسد . وكما تشتغلون للجسد يقتضي ان تشتغلوا للروح ايضاً . لكنه طالبكم بالسبع . ومع هذا فان بينكم من يتقاعس عن ايفاء ذلك كما يليق . انكم تشكون من الناس متى ظلموكم ولكنكم تظلمون نفوسكم وتظلمون الله بتعديكم يومه غير منتبهين ، وتظنون انكم تزدادون مالا ان اشتغلتم فيه ، او تزدادون سروراً وغبطة ان لهوتم وطربتم فيه .

ان الذين كانوا يجمعون المنّ لم يكونوا يجمعونه في اليوم السابع ، لأن رزق اليوم السابع كان يصل اليهم في اليوم السادس . فكانوا يلتقطون يومئذ ضعفين ، وهكذا أيضاً . فان رزق يوم الاحد يوم الرب يأتيكم في الايام الاخرى . فلا تطمعوا في الربح الدنيوي واللهو الزائل الزمني . ان الذي يدنّس يوم الرب لغير ضرورة قصوى ويبخل عليه بوقت وجيز يكرّسه له صارفاً وقته في المقاهي والعشر الفارغة او في الجدّ وراء المطامع والارباح الزائلة . فسيتحول لديه السرور الذي يود ان يجنيه علقماً ومرارة . وسيعود عليه الربح الذي يتوهمه بالخسارة ، بل سيصير ماءً وملحاً يُذيب حتى مكاسبه المكتسبة بطريق الحلال .

فنصيحتي لكم اليوم هي ان تقدسوا يوم الرب اول الاسبوع ليكون لكم بركة ، ولا تدنّسوه لئلاّ تفقدوا هذه النعمة . وحذار

ان ترتكبوا فيه الخطايا ، لأن عقاب الخطايا المفتعلة في يوم الرب مضاعف وتُعَد من نوع اهانة الاقداس .

اذكروا انه يوم فيه قام المسيح سَحراً من القبر . وبكروا انتم ايضاً للقيام من قبر الخطية حتى تحيوا مع المسيح حياة ابدية .

فليقويكم الرب على حفظ يومه بحسب مشيئته . ويجعلكم اهلاً لتتمتعوا ببركاته الروحية والجسدية ههنا وفي تلك الراحة المنشودة التي لا تحول بنعمته ورحمته آمين .

الباب الخامس

في الوصية الخامسة

الآية

أكرم أباك وامّك « خر ٢٠ : ٩ »

ان الوصية الخامسة القائلة أكرم اباك وامك هي أولى الوصايا المدرجة في اللوح الثاني من لوحي الوصايا العشر . وأولى الوصايا المختصة بمحبة القريب . وأولى الوصايا المقرونة بوعد . وهي وان كان ظاهرها مختصاً بواجبات الاولاد نحو والديهم ولكنها تشمل ايضاً واجبات الوالدين نحو أولادهم ، والنساء نحو رجالهن ، والرجال نحو نسائهن ، والرؤساء نحو مرؤوسيهم والمرؤوسين نحو رؤسائهم .

ولما كان تبادل الالفة والتعاون بين افراد العائلة باعثاً على سعادتها . وسعادة العائلة توصل الى سعادة الامة . فالوصية الخامسة التي تأمر بذلك هي محور سعادة الهيئة الاجتماعية . ولذلك رتبها الله في مقدمة الوصايا المختصة بالقريب ، وحباً بالافادة فقد قسمتها الى الاقسام التالية :

القسم الاول

في واجبات الاولاد نحو والديهم

ان اهم واجبات الاولاد بحسب مضمون هذه الوصية هي كرامة الوالدين . ولا يُقصَد بهذه الكرامة التحية والاحترام الظاهرين فقط بل الطاعة والمحبة والمواساة ايضاً ، ويتوجب عليهم ذلك لسببين :

اولاً - لأن الناموس الطبيعي يقضي به . ومَن احق على الأولاد بالمحبة والطاعة ممن كانوا سبب وجودهم وقد ضحوا النفس والنفيس في اعالتهم ووقايتهم وتهذيبهم ليكونوا ذرية صالحة وخدمة عاملين لمجد الله وخير القريب ؟ بل وحتى النسمة الاخيرة لا ينفكون من ان يحملوا لهم في قلوبهم اعظم حب وأخلص وُد . لأنهم فلذات اكبادهم وفروع ارومتهم . أليس كل ذلك من باب اسداء الاحسان اليهم ؟ واذا كان اسداء الاحسان مرة قد جعل اناساً اسيري الشكر مدى الحياة فكم بالحري من كان احسانهم متواتراً وحبهم متواصلاً قلباً وروحاً وبدناً ، وشفقتهم تتدفق نحوهم حتى في احرج الأوقات . وكفى بذلك بياناً بكاء داود وندبه ابيشالوم ابنه المقتول الذي كان يضطهده قائلاً : يا ابني ابيشالوم . يا ابني ابيشالوم . ليتني متّ عوضاً عنك . يا ابيشالوم ابني يا ابني « ٢ صم ١٩ : ٤ » .

ثانياً - لأن الناموس المكتوب يأمر به بقوله اكرم اباك وامك اطيعوا والديكم في الرب . لأن هذا حق « افس ٦ : ١ » اطيعوا والديكم في كل شيء « كو ٣ : ٢٠ » .

ان الأباء والامهات هم نواب الله في تدريب الأولاد وتهذيبهم فعلى الأولاد إذن أن يمتثلوا امرهم ومشورتهم معتبرين سلطان الله وولايته فيهم . وهكذا يوصي الحكيم بن سيراخ قائلا : بنيّ اسمعوا اقوال أبيكم واعملوا بها لكي تخلصوا . فان الرب قد اكرم الأب في الأولاد وأثبت حكم الأم في البنين « ٣ : ٢ و ٣ » وبهذا أيضاً يأمر الحكيم سليمان قائلا : اسمع لأبيك الذي ولدك ولا تستهن بامك اذا شاخت « أم ٢٣ : ٢٢ » وما نبذ مشورتهم ومخالفة امرهم إلا نقضاً لترتيب الله الأدبي في تنظيم العيال ، وانحرافاً عن خطة الوضع الالهي لأصح اعمال الحياة وارتكاباً خطية قصاصها الموت رجماً وقتلا « تث ٢١ : ١٨ - ٢١ » « خر ٢١ : ١٥ ولا ٢٠ : ٩ » حتى إن أهمل البشر مقاصصتهم فان الله لا يهملها . ماذا كان سبب موت ابيشالوم وهو في ريعان الصباء ؟ ألم يكن مقاومته لأبيه ؟ ماذا كان سبب شقاء نسل حام ؟ ألم يكن استهزاؤه بابيه نوح ؟ قال الحكيم بن سيراخ : من خذل اباه فهو بمنزلة المجدّف ، ومن غاظ امه فهو ملعون من الرب « ٣ : ١٨ » . روى ان ابناً شقياً لطم والده ، فقال له والده ليضربك الله . وما كاد يقول ذلك حتى سقط الولد مائتاً . وروي عن ولد آخر كان شقياً مرّر حياة والده فدعا عليه ، وكان من نتائج هذا الدعاء : انه مات في شرخ الشباب ، والأغرب انه مات ليلة زفافه .

وما أعظم الفوائد التي يجنيها الأولاد بسبب طاعتهم ومحبتهم لوالديهم ، فانهم يفوزون بالخير وبطول الحياة بحسب وعد الله في هذه

الوصية قائلا: اكرم أباك وامك لتطول ايامك ويكون لك خير. وبحسب قول الحكيم ابن سيراخ القائل: من احترم امه فهو كمدخر الكنوز. ومن احترم أباه طالت أيامه « ٣ : ٥ و ٧ » والذين لا ينالون ذلك في هذه الحياة يكافأون عنه اضعافاً في الديار الابدية بنوع أفضل، لأن اجور ووعود العهد الجديد هي سموية اكثر من أن تكون ارضيـــة. وأمر الحياة منوط بارادة مدبر الكائنات الذي يفعل كل شيء لمنفعة عباده. قال مار أفرام السرياني في ميمره الثاني عن خراب نيقوميدية: ان اطال لشيخ فهو فتى. وان قصّر لفتى فهو شيخ». وهكذا قل عن الخيرات الارضية. فانه تعالى ان لم يهبها ههنا مكافأة بحسب الوعد الالهي فهو يؤجلها الى العالم العتيد. كما يتضح ذلك من خبر لعازر الفقير الذي كان مضروباً بالقروح « لو ١٦ : ٢٠ - ٢٥ ».

ان الذين يكرمون والديهم يفوزون أيضاً بالسرور وباستجابة الدعاء كما قال الحكيم ابن سيراخ: مَن اكـرم أباه سُرّ باولاده. وفي يوم صلاته يستجاب له « ٣ : ٦ ». وهذا حق لأنه إذا كان ما يزرعه الانسان فاياه يحصد. فالذي يزرع كرامة الوالدين من حقه ان يحصد كرامة من المولودين، والذي يمتثل أمر الله خاضعاً ويابي دعوته فمن الواجب ان يستمعه الله ويستجيب دعاه.

ويفوزون أيضاً بالبركة بحسب قول الحكيم نفسه القائل: اكرم أباك بفعالك ومقالك بكل اناة لكي تحل عليك البركة منه وتبقى بركته الى المنتهى. فان بركة الأب توطد بيوت البنين « ٣ : ٩ - ١١ » ولذا نرى ان الابناء الابرار الاقدمين كان كل همهم ان يحصلوا على بركة والديهم، والآباء الابر ان يمنحوا أولادهم بركتهم الاخيرة كما يظهر ذلك جلياً في حياة اسحق وولديه يعقوب وعيسو « تك ٢٧ : ١ - ٤٠ ».

ويصيبون ايضاً الكرامة والفخر ، قال الحكيم · فخر الانسان بكرامة ابيه « سير ٣ : ١٣ » ·

فاذ قد علمتم أيها الأبناء ما توجبه عليكم هذه الوصية من الحقوق لوالديكم فاكرموهم واطيعوهم لتكونوا مكرّمين ومطاعين ، وببركاتهم متمتعين . اخدموهم ان كانوا ضعيفين ، ساعدوهم ان كانوا محتاجين ، احترموهم دائماً ، ولا سيما ان كانوا شيوخاً عاجزين معتقدين انكم تكرمون الله في شخصهم . قال الحكيم : يا بُني أعِن أباك في شيخوخته ولا تحزُنه في حياته . وإن ضعف عقله فاعذر ولا تُهِنه وانت في وفور قوتك فان الرحمة للوالد لا تنسى . وباحتمالك هفوات امك تجزى خيراً « سير ٣ : ١٤ - ١٦ » .

واياكم ان تتعللوا بعلل يهودية وتهضموا حقوق الوالدين بعلة تربية الأولاد أو باختيار طرق نافلة غير ضرورية : لأن حقوق الوالدين تقدم على كل شيء كما يُقدم أيضاً الدين على اعطاء القرض ، وتفضل على القرابين نفسها ، لأنها من باب المحبة والرحمة . وقد قال جلّ اسمه : «رحمة اريد لا ذبيحة » هو ٦ : ٦ ومت ١٢ : ٧ » واعتبر الذين يجيزون التهاون بها لعلل كهذه مبطلين وصايا الله ، وانهم يكرمون الله بشفاههم وأما قلوبهم فبعيدة عنه ، وعُدّت عبادتهم له باطلة . واظهر بلسان رسوله انهم شرٌ من الكافرين . فانه بعد ان يحث الاولاد عن القيام بحقوق والديهم يقول : وان كان احد لا يعتني بذويه ولا سيما باهل بيته فقد انكر الايمان وهو شر من كافر « ١ . طيم ٥ : ٨ » هكذا يُعَد منكراً وشراً من الكافرين ذلك ان الكفر على نوعين بالقول والفعل . فمن لا يعتني بامور ذويه فقد انكر الايمان بفعله لمخالفته ما يعترف به بالفم ، لأن تعليم الايمان يوجب على الأولاد اكرام والديهم ، ومن كان مخالفاً

لايمانه باعماله كان شراً من الكافرين . كيف لا وان هؤلاء يعتنون من طبعهم بمصالح ذويهم ، اما هو فيعتبر دونهم في ذلك ولذا يُعد شراً منهم . حاشاكم أيها السامعون ان توجدوا في حالة كهذه وأنتم أولاد الطهر والتقوى ، بل بالحري ان تكونوا في كل طاعة ومحبة لوالديكم . تخدمونهم بحسب طاقتكم من كل قلبكم بكل صبر واناة لتحصلوا على رضى الله وبركتهم وتسرّوا ببنيكم في شيخوختكم وتكونوا ناجحين في أعمالكم وقد قال الحكيم « من يتقي الرب يُكرم والديه ويخدمهما بمنزلة سيدين له » سير ٣ : ٨ » .

قوّاكم الرب لتكملوا واجباتكم بحسب مضمون هذه الوصية . ومتعكم بكامل مكافاة المطيعين لها ، وانحاكم لتكونوا رجالاً ونساء كاملين وآباء وامهات صالحين تحسنون تربية أولادكم كما احسنتم في الطاعة والاكرام والمحبة لوالديكم .

القسم الثاني

في واجبات الوالدين نحو اولادهم

ليس في الكتاب وصية خاصة في محبة الوالدين للاولاد ، لأن ذلك طبيعي وغريزي وموجود حتى في الوحوش الاشد شراسة كالنمرة التي عندما تسمع صوت اجرائها المخطوفة ضمن مركب في البحر تطرح ذاتها سابحة في الماء بدافع الحنو الوالدي لتدرك ذلك المركب . بيد ان الوصايا في امر تربية الأولاد متعددة كما سترى . حتى ان الوالد الذي يتغاضى عن ذلك لا يعتبر والداً حقيقياً بل قاتلا وجانياً ، لأنه بدلاً من ان ينشىء نسلا يحترم الانسانية ينشىء نسلا اشبه بالعقارب والحيات خالياً من تقوى الله ومنفعة القريب . قال الحكيم ابن سيراخ : إن ولداً يخشى الله خيرٌ من الف ولد منافقين ، وخيرٌ للانسان ان يتوفى بغير بنين من ان يخلّف بنين منافقين « ١٥ : ٣٣ » ومن ثم وجب على الوالدين ان يعتنوا بتهذيب اخلاق بنيهم وان يعلموهم خشية الله منذ الصغر : لأن الغصون اذا قومتها اعتدلت . وما اعتاد عليه الانسان صغيراً شب عليه كبيراً . ذلك ان نفوس الاطفال هي كالثوب الناصع بياضه ، فاذا صبغ لأول مرة باحد الالوان ثبت عليه ، واذا احب احد ان يحيله الى لون آخر فلا بد ان يبقى فيه اثر الاول ضرورة . وهكذا الأولاد الصغار اذا اعتادوا عوائد صالحة عسُر عليهم الانعكاف عنها الى ما يضادها متى بلغوا حد الرجال . ولذا يقول الحكيم سليمان : من يوبخ

الصبي وهو في مبدأ الطريق وإن شاخ لا يحيد عنه « ام ٢٢ : ٦ » .

٢ : على الآباء إذن ان يستفحصوا عن حركات اولادهم ، عن دخولهم وخروجهم ، وعن اماكن اجتماعاتهم ، وان ينهوهم بصرامة عن المعاشرات الرديئة . لأن الافكار الرديئة تفسد الضمائر السليمة « ١ . كو ١٥ : ٣٣ » . وان لم تنجح فيهم النصائح فليستعملوا التأديب ، لأن مَن احب ابنه ادّبه . وانما يجب ان يكون التأديب بعاطفة أبوية لا بالشدة والفظاظة كما يشير الحكيم قائلا : أدّب ابنك لأن فيه رجاء ولا تحمل نفسك على اهانته « ام ١٩ : ١٨ » وكما يوصي الرسول أيضاً قائلا : ايها الآباء لا تحنقوا بنيكم بل ربوهم بادب الرب وموعظته « افس ٦ : ٤ » وأكد ذلك في رسالته الى كولوسي قائلا : ايها الآباء لا تغيظوا بنيكم لئلا يفشلوا « كو ٣ : ٢١ » ، أي لئلا يتضايقوا فيفشلوا . وكأني به يقول : لا تقسوا عليهم ولا تكلفوهم ما لا يطيقون بل ربوهم بالتعاليم الصحيحة الصالحة . واذا اذنبوا وادبتموهم فليكن تأديبكم اياهم بالرفق والرأفة .

ان الآباء الذين يُهملون تربية اولادهم ويتقاعسون عن تأديبهم عند وقوعهم في المساوىء يُعتبرون قتلة لأولادهم وهم شرٌ من اللصوص الفتاكين ، لأن هؤلاء يقتلون اجساماً هيولية واما هم فيقتلون تقوى اولادهم الكريمة بتركهم اياهم يتمرغون في حمأة القبائح والمنكرات . وكان الاولى بهم ان يبذلوا قصارى جهدهم في معالجة امراضهم الروحية كما يستفرغونه في معالجة امراضهم الجسدية حتى ينالوا البر التام باصطلاح آدابهم وتحسين اخلاقهم .

٣ : ان لا يبخلوا في امر تهذيبهم وتعليمهم . لأنه ما الفائدة

من المال اذا تُرك لولد شرير غير مهذب فانه يبدرقه ويتلفه بدون شفقة، إذ لم يتعب فيه ، لا بل يكون له سبب عطب وهلاك إذ يتوصل بواسطته الى التمتع بالشهوات والمحرمات . ولكن اذا انفق عليه حتى يحصل على علم وأدب وفن واخلاق حميدة فسيكسب بهـا اضعاف ذلك ويحصل على شرف وافر ويسبب لوالديه راحة ولذة كما قال الحكيم : أدب ابنـك فيريحك ويعطي نفسك لذات « ام ٢٩ : ١٧ » .

٤ : ان يدربوهم في مخافة الله بكلامهم وقدوتهم الحسنة : حيث لا يكلفونهم ما لا يأتون به هم ، ولا ينهوهم عما يستعملونه هم منتهزين الفرص المناسبة لذلك عملا بالوصية القائلة : احترز جداً أن لا تنسى الامور التي ابصرتها عيناك ولئلا تزول من قلبك كل ايام حياتك وعلمها اولادك واحفادك « تث ٤ : ٩ » وقال ايضاً : علموها أولادكم متكلمين بها حين تجلسون في بيوتكم وحين تمشون في الطريق وحين تنامون وحين تقومون « تث ١١ : ١٩ ».

هكذا سار الابرار الألون في تهذيب اولادهم وتدريبهم في مخافة الله . فايوب الصديق روض اولاده على الالفة والمحبة حيث كانوا يجتمعون كل يوم عند واحد ويستدعون اخواتهم الثلاث . وكلما دارت ايام الوليمة كان يرسل فيقدسهم ويبكر في الغد ويصعد محـرقات على عددهم قائلا : ربما اخطأوا وجدفوا على الله في قلوبهم « اي ١ : ٤و٥» وهكذا شهد الكتاب عن ابراهيم بانه اوصى بنيه وبيته من بعده لكي يحفظوا طريق الرب « تك ١٨ : ١٩ » والدليل على تعليمه اياهم جليّ في حياة لعازر الدمشقي كبير بيته وفي صلاته التقوية .

فعلى هذا النسق يجب ان يعودوا الأولاد على العبادة وما يتعلق

بها من اعمال الخير والمحبة . ولا يمارسوا العبادة هم وحدهم تاركين اولادهم نياماً أو يذهبون الى حيث يشأون . بل بالحري فليصطحبوهم ويشركوهم في العبادة مقتدين بيشوع بن نون الذي بعد ما حذّر الشعب من اتباع الآلهة الغريبة قال : واما أنا وبيتي فنعبد الرب « يش ٢٤ : ١٥ » .

فليعوّدوهم بهذه الصورة على الصلوة العائلية في البيت صباحاً ومساءً . وعلى الصلاة الجامعة ايام الاحاد والاعياد . وليدفعوا لهم من وقت الى آخر بعض الدراهم ليعطوها بيدهم سواء كان للكنيسة أو المساكين من رفاقهم او لأهل البؤس والحاجة ، مدربين اياهم على اعمال الرحمة والمحبة حتى اذا شبوا وكبروا دامت فيهم هذه الاعمال وكانت قلوبهم عامرة بالمحبة والشفقة على كل واحد .

ونسأله تعالى ان ينيرنا واياكم جميعاً حتى نعرف كيف نربي ونهذب أولادنا . ويوفقنا لنتمكن من القول امام منبره الرهيب : هأنذا والأولاد الذين اعطيتنيهم . إذ نكون معاً في ذلك النعيم الابدي بفضله ونعمته ، آمين

القسم الثالث

في واجبات الرجل نحو المرأة والمرأة نحو الرجل

لامر بيّن انه متى زاد المجتمع على واحد اقتضى النظام لحفظه حتى لا تسود الفوضى ويستولي الخراب .

وأول هيئة بشرية تشكلت انما هي الهيئة العائلية التي كوّنها الله من رجل وامرأة لأجل العمران والتعاون وتسلسل الذريّة . قال الله : لا يُحسَن ان يكون الانسان وحده فاصنع له عوناً بازائه « تك ۱۸ : » ، ثم باركهم وقال لهم : انموا واكثروا واملأوا الأرض واخضعوها « تك ۱ : ۲۸ » .

ولكي تكون المحبة بينهما متواصلة ومتأصلة كوّن الله المرأة من ضلع الرجل فقال فيها آدم : هذا عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تسمى امرأة لأنها من امرء اخذت « تك ۲ : ۲۳ » .

وهما وإن ظهرا شخصين مفترقين ولكن اتفاقهما على ان يعيشا في الحياة معاً وبباعث اتحادهما ببركة الله لا يعتبران إلا واحداً كقوله تعالى : يترك الرجل أباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً

واحداً . فليسا هما اثنين بعد ولكنهما جسد واحد ، وما جمعه الله فلا يفرّقه انسان « مت ١٩ : ٥ و ٦ » .

وما أعجب الوحدة اذا وُجدت في العائلة فانها تخلق سعادة لا نظير لها وتزدهر ازدهاراً عجيباً يتحير منه الناظرون . وكل سر هذه السعادة انما هو في الوحدة التي تزينها المحبة والتواضع .

وكما ان لكل هيئة رئيساً هكذا والعائلة فان رئيسها انما هو الرجل . ويجب الخضوع لأمره المعقول . يقول الرسول : اتخضع النساء لرجالهن كما للرب . لأن الرجل هو رأس المرأة كما ان المسيح هو رأس الكنيسة مخلص الجسد ، فكما تخضع الكنيسة المسيح فكذلك لتخضع النساء لرجالهن في كل شيء « افس ٥ : ٢٢ - ٢٥ » »

ان هذا الأمر يوجب على المرأة ان تسير بحسب امر الرجل: اي الاّ تخرج من البيت وتقصد بعض الأماكن بدون رضاه . ولا تقبل غريباً في البيت والرجل غير حاضر . ولا تستبد في ادارة البيت بحسب هواها ، بل يجب ان يكون تصرفها كله بحسب هوى رجلها .

وكذلك الرجل وإن أُسمّي رئيساً فيجب ان لا يستغني عن مشاورة قرينته ولا سيما في الامور المهمة مقتدياً بيعقوب ابي الاسباط الذي لما عزم على الرحيل من بيت لابان لم يفعل ذلك إلا بعد ان شاور ليا وراحيل « تك ٣١ : ٤ - ١٦ » .

ويجب ايضاً ان يحب امرأته محبة خالصة . قال الرسول : ايها الرجال احبوا نساءكم كما احب المسيح الكنيسة وبذل نفسه لأجلها .

ثم يقول بعدئذ : يجب على الرجال ان يحبوا نساءهم كأجسادهم . من احب امرأته احب نفسه . فانه لم يبغض احد جسده قط بـــل يغذيه ويربيه كما يعامل الرب الكنيسة « افس ٥ : ٢٥ - ٢٩ » .

وكذلك المرأة يجب ان تهاب رجلها « افس ٥ : ٣٣ » وتعينه في كل امور العائلة ولا سيما فيما يختص بادارة البيت الداخلية لأنها انما خلقت عوناً له ومعينة « تك ٢ : ١٨ » ولتحذر الشح ، والتبـــذير . ملازمة الاقتصاد الذي يعرف ان يضع كل شيء في محله ، متحـــاشية الشغف بالزينة الظاهرة من تجعيد الشعر والتحلي بالذهب ولبس الحـــلل الخ مفضلة عليها زينة القلب المستتر « ابط ٣ : ٣ و ٤ » لأن ذلك كثير الثمن امام الله ولتكدّ ليل نهار نظير الامرأة الصالحة التي وصفها سليمان الحكيم ، تنهض في الليل .. وتنطّق حقويها وتشدد ذراعيهـــا . ولا ينطفىء في الليل سراجها . تلاحظ طُرُق بيتها ولا تأكل خبز الكسل « ام ٣١ : ١٥ - ٢٧ » مغبوط بالحقيقة رجل المرأة الصالحة ومضاعف عدد ايامه . يقضي سنيه بالسلام .وقلبه يكون جذلاً ووجهه بهجاً كل حين غنياً كان م فقيرا « سير ٢٦ : ١ - ٥ » .

وبما ان الزيجة سياج العفة : فصوناً من الوقوع في الزنى ، يقول الرسول : لتكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحـــدة رجلها . ليقض الرجل امرأته حقها . وكذلك المرأة ايضاً رجلهـــا . ان المرأة لا تتسلط على جسدها بل رجلها ، وكذلك الرجل ايضاً لا يتسلط على جسده بل امرأته ، لا يمنع احدكما الآخر عن ذاته إلا على موافقة الى حين ... « اكو ٧ : ٣ - ٥ » .

ولا يجوز ان تفارق المرأة رجلها . ولا ان يـــترك الرجل

امرأته « اكو ٧ : ١٠-١١ » بل بالحري يجب ان يكونا على وفق في السراء والضراء نظير امرأة ايوب التي لزمت خدمته كل ايام بلواه ، لأن العهد الذي ارتبطا به ليس موقتاً بل يمتد طول الحياة .

هذه خلاصة الواجبات المتبادلة ما بين الرجل والمرأة . فالذين يسيرون بموجبها لهم السعادة الكاملة والنعيم المؤبد .

القسم الرابع

في واجبات الشعب نحو رؤسائهم المدنيين

وواجبات هؤلاء نحو أولئك

كما ان الذي يربي ولداً يتيماً يُدعى اباً له . هكذا مَن يربي شعباً ويهذبه ويدافع عنه ويحميه يُسمى اباً بكل صواب . ويجب ان يؤدى له احترام الأبوة من الجميع .

قال الرسول : لتخضع كل نفس للسلاطين العالية فانه لا سلطان إلا من الله والسلاطين الكائنة انما رتبها الله . فمن يقاوم السلطان فانما يعاند ترتيب الله ، والمعاندون يجلبون دينونة على انفسهم ، لأن خوف الرؤساء ليس على العمل الصالح بل على الشرير . أفتبتغي ألا تخاف السلطان افعل الخير فتكون لديه ممدوحاً ، لأنه خادم الله لك للخير فاما ان فعلت الشر فخف فانه لم يتقلد السيف عبثاً لأنه خادم الله المنتقم الذي ينفذ الغضب على من يفعل الشر . فلذلك يلزمكم الخضوع له لا من اجل الغضب فقط بل من اجل الضمير ايضاً . فانكم لأجل هذا توفون الجزية ايضاً ، إذ هم خدام الله المواظبون على ذلك بعينه . ادّوا لكل حقه . الجزية لمن له الجزية ، والجباية لمن له الجباية ، والمهابة لمن له المهابة ، والكرامة لمن له الكرامة « رو ١٣ : ١ - ٧ » .

وفي رسالته الاولى الى طيمثاوس يحث الناس ان يصلّوا لأجلهم قائلا : فاسأل قبل كل شيء ان تقام تضرعات وصلوات وتوسلات وتشكرات من اجل جميع الناس ، من اجل الملوك وكل ذي منصب لتقضي حياة مطمئنة ذات دعة في كل تقوى وعفاف . فان هذا حسن ومقبول لدى الله مخلصنا الذي يريد ان جميع الناس يخلصون وبيلغون الى معرفة الحق « ١ . طيم ٢ : ١ - ٤ » .

وهكذا نرى الله يوصي ارميا النبي بان يكتب الى قومه الذين في الجلاء قائلا : واطلبوا سلام المدينة التي اجليتكم اليها ، وصلّوا من اجلها الى الرب فانه بسلامها يكون لكم سلام « ارم ٢٩ : ٧ » .

فبالنظر الى هذا التعليم يقتضي على الشعب ان يؤدي الاحترام والطاعة لكل مراتب الحكومة التي يتفيأ ظلها ويعيش في حماها ، ويجدّ ويصلي لأجلها كي يسود فيها العدل والحق ، وتتدرج في مراقي النجاح والتقدم حتى يرعى فيها الذئب والخروف معاً دون ان يسيء احدهما الى الآخر .

وكما اننا لا نريد ان يهضم احد حقنا . هكذا لا يجوز ان نهضم شيئاً من حقوق حكومتنا ، لأن الذي يهضم ليس إلا سارقاً ، وبالحري يجب ان نكون امناء في كل خدَمها وحقوقها ، لأن الله قد وضعها على الارض لأجل اجراء العدل . فمن يقاومها انما يقاوم الله . ذلك ان الحكومة العادلة انما تمثل الله على الارض ، ولذلك تقاصص المذنبين وتنتقم من المجرمين ، لكي يستأصل الفساد من الارض ويسود فيها الامن والاطمئنان .

ليُصغ إذن الرؤساء والحكام وليعلموا انما هم وكلاء الله على

الارض . فيجب ان يمثلوه بنموذجهم الصالح ، بسيرتهم وتصرفاتهم ، بعدلهم وحكمتهم ، بصلاحهم وجودهم ، غير مكتفين بسلطتهم ، لأن السلطة المجردة من الحكمة هي حيوانية ، والغير المرفقة بجود هي ظلم ، الغير المقرونة بالعدل هي تعدٍّ واختلاس .

وحذار ان يعرجوا عن جادة الصواب ، لأن عثرات الرجل الكبير تقتاد من هم دونه بكل سهولة . ولذا قيل خطايا الشعب هي خطايا الرؤساء ، لأنهم السبب في خطايا الجمهور .

واياهم وحب المال لأن ذلك يسوقهم الى ارتكاب الموبقات .

والبعد كل البعد عن التشامخ والكبرياء والعُجب والصلف . لأنها امور تدعو الى السقوط . وقد اوصى الحكيم ابن سيراخ قائلا : اذا جعلوك رئيساً فلا تتكبر بل كن بينهم كواحد منهم « ٣٢ : ١ » وليلبسوا بالاحرى الاتضاع ، ولا يحسبوا تسنمهم الكراسي باعث سعادتهم لأنهم لم يختاروا لمجرد خيرهم بل لمجرد خير الغير ، وهم ملتزمون بالاهتمام باسعاف الجميع وصيانتهم ، وباجراء العدل محافظة على حقوقهم .

وقانا الرب وكل الرؤساء من كل خطأ ، وقوّانا بقدرته لنكون مثالاً حسناً لسوانا ، وخداماً صالحين لعزته ، له المجد ابد آمين .

القسم الخامس

في واجبات الشعب نحو رؤسائهم الدينيين

وواجبات هؤلاء نحو أولئك

كما ان الله وضع في العالم رؤساء لأجل اجراء العدل كذلك وضع في الكنيسة رؤساء وخدام لأجل ارشاد الشعب وهديه في طريق الملكوت : وضع اولاً رسلا . ثانياً انبياء . ثالثاً معلمين ، ثم قوات ، ثم مواهب شفاء فاعانات فتدابير فانواع السنة ، فترجمات السنة « ١ كو ١٢ : ٢٨ » ورتب ان الذين يبشرون بالانجيل يعيشون من الانجيـــل « ١ كو ٩ : ١٤ » لأن الفاعل مستحق طعامه « مت ١٠ : ١٠ » والعامل مستحق اجرته « لو ١٠ : ٧ » وقد اوصى قائلا : ليشـارك الذي يُعلَّم الكلمة معلمه في جميع الخيرات « غل ٦ : ٦ » . وقـد خصصت العشور قديماً ببني لاوي حيث قيل : وأما بنو لاوي فاني جعلت لهم كل عشر في اسرائيل ميراثاً عن خدمتهم التي يخدمونها في خباء المحضر « عد ١٨ : ٢١ » وقد خص الكهنة بالأوائل « عد ١٨ : ١٢ » ، وقال الحكيم ابن سيراخ اخش الرب بكل نفسك واحترم كهنته ، احبب صانعك بكل قوتك ولا تهمل خدامه . اتق الرب واكرم الكاهن وأعطـــه حصته بحسبما اُمرت به والباكورة لأجل الخطاء وعطية الا كتـــاف وذبيحة

التقديس ، وباكورة الاقداس ، وابسط يدك للفقير لكي تكمل بركتك « سير ٧ : ٣١ - ٣٦ » .

ثم يأمر بالاستماع والطاعة والاكرام لهـم حيث يقول : مَن قبلكم فقد قبلني ، ومَن قبلني فقد قبل الذي ارسلني ، ومن قبل نبياً باسم نبي فاجر نبي ينال ، ومن قبل صديقاً باسم صديق فاجـر صديق ينال ، ومن سقى احد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ ، فالحق اقول لكم انه لا يضيـع اجره « مت ١٠ : ٤٠ - ٤٢ » ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من البيت او من المدينة فانفضوا غبار ارجلكم . الحق اقول لكم ان ارض سدوم وعمورة ستكونان اخف حالة من تلك المدينة في يوم الدين « مت ١٠ : ١٤ و ١٥ » .

وهكذا يوصي الرسول قائلا : اطيعوا مدبريكم واخضعوا لهم فانهم يسهرون على نفوسكم سهَر من سيحاسب حتى يفعلوا ذلك بسرور لا بكرب لأن هذا غير نافع لكم « عب ١٣ : ١٧ » .

وكما انه يوصي الشعب باكرامهم ، كذلك يوصيهـم هم ايضاً بالاحتفاظ بالشعب وبالعناية الروحية بهم حيث يقول : رعوا رعيـة الله التي فيكم متعاهدين لها لا عن اضطرار بل عن اختيـــار ولا لمكسب خسيس بل بارتياح ، ولا كمن يتسلط على ميراث الله بل كمن يكون مثالاً للرعية . وحين يظهر رئيس الرعاة تحصلون على اكليل المجد الذي لا يذوي « ١ . بط ٥ : ٢ - ٤ » .

ويأمرهم تعالى بتعليم الشعب ما يجب حفظـــه حيث يقول : وعلموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به « مت ٢٨ : ٢٠ » .

ويحذرهم من التراخي في وعظ الخطاة حيث يقول يا ابن البشر

اني جعلتك رقيباً لآل اسرائيل فاسمع الكلمة من فمي وأنذرهم عـني . فاذا قلتُ للمنافق انك تموت موتاً ولم تنذره انت ولم تتكلم منذراً المنافق بشر طريقه ليحيا فذلك المنافق يموت في اثمـه لكني من يدك اطلب دمه « حز ٣ : ١٧ و ١٨ » .

وما احسن المثال الذي تركه لنا القديس بولس وأبانه لنا في الاصحاح العشرين من سفر الأعمال في عظتـه في افسس حيث روى : انه لم يتأخر عن ان يُخبرهم بمقاصد الله كلها ومدة ثلاث سنين لم يكفف ليلاً ونهاراً عن ان ينصحهم بدموع ، لم يشتهِ من احد فضةً او ذهباً او ثوباً ، بل بيديه خدم لأجل الحصول على حاجاته وحاجات الذين معه مبيناً للجميع كيف يجب ان يتعبوا لمساعدة الضعفاء لأن العطاء أعظم غبطة من الأخذ . ثم يحذّرهم قائلاً : فاحذروا لأنفسكم ولجميع القطيع الذي اقامكم فيه الروح القدس اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه . فاني اعلم انه بعد فراقي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على القطيع ومنكم انفسكم سيقوم رجال يتكلمون باقوال فاسدة ليجتذبوا التلاميـذ وراءهم ، فاسهروا « اع ٢٠ : ٢٧ - ٣٥ » .

اظهر الله في جميعنا هذا المثال ، وجعلنا ايقاظـاً على رعيته المفتداة بدم وحيده ، وألهمكم باكرام خدام كلمتـه بنفوسكم وعطاياكـم وكافأكم على ذلك اضعاف الكرامات والهبات برحمته آمين .

الباب السادس

في الوصية السادسة

الآية

لا تقتل « خر ٢٠ : ١٣ »

ان الحيوانات تقسم الى قسمين اهلية ووحشية ، أو داجنة وضارية . فالاهلية هي الأليفة التي ترعى العشب غالباً وتستأنس بالبشر ، اما الوحشية فهي التي تعيش منفردة وتأكل اللحوم غالباً . وفي طبيعة جميعها قد جعل الله سلاحاً للمحافظة على حياتها . فبعضها تدافع بقرونها كالكباش والثيران وبعضها تدافع بحوافرها مثل الخيل ، وغيرها بانيابها كالذئاب ، ومنها بأجنحتها واظافيرها كالطيور ، وغيرها بخفتها كالغزلان والارانب . وأما الانسان فقد جعل سلاحه عقله والهيبة التي قلّده الله اياها على كل انواع الحيوانات ، وهو من النوع الاهلي كما يرى ذلك في الالفة البشرية حيث يعيش الجميع في قرى ومدن وممالك ، ولوازمه الطبيعية تحكم عليه ان يكون انيساً اليفاً ، لأنه لا يتمكن من الحصول على جميع لوازمه بذاته . فالزارع يحتاج الى من يعمل له العدة للحراثة . والى من ينسج له الثياب للكسوة والخ . وهذه الاحتياجات تلزمه بان لا يكون

في عداوة مع الذين يتعامل معهم . بل يكون معهم دوماً في الفة ومحبة.

فالالفة أذن هي من خواص البشرية . ولذلك كان القديس يوحنا الرسول في اثناء شيخوخته حين يريـــد ان يعرّف عن لوازم المؤمنين بتخيص يجعل موضوع كلامه المحبة لا غير ، لأنهـــا الوصية الاولى الالهية منذ القديم ، كما عرّف هو نفسه في رسالته الثانية قائلا : لا اكتب اليك بوصية جديدة بل التي كانت منذ البدء ان يحب بعضنـا بعضاً .. واذا كنا نجد الالفة في رفوف الطيور وقطعان الحيوانات فكم بالحري يقتضي ان تكون في البشر المخلوقين على صورة الله ؟ ولـكن وائن حافظت الحيوانات الخرساء والطبائع الجامدة على غريزياتها وما كونها الله عليه . فان الانسان لم يحافظ على ذلك ، بل قد انقلب منذ البـدء عن الحالة الاهلية الى الحالة الوحشية ، لأنه تجاوز الوصية . يؤيد ذلك جناية قائين الذي سفك دم اخيه هابيل البار : ومن ثم تلوثت الطبيعة البشرية بتعديات وعيوب عديدة خلافاً للسنّة الغريزية التي كان الله قـد طبعها عليها حتى اقتضى ان تعطى سنّة مكتوبة على لوحين حجريين تشير الى قساوة القلب البشري ، وكان بين تلك الوصايا والنواهي وصية : لا تقتل .

لقد نهى الله عن القتل إذ عمل الانسان على صورته ومثاله . ولذلك فمن يتجرأ على القتل وهو احد اسباب اضمحلال الجنس البشري : يعتبر هادماً لصورة الله وبنيته ، ومعاكساً لبركة الله اياه بقوله انموا واكثروا . كيف لا وان القتل يقطع وصال المحبة ويشتت شمل الالفـة ويسبب عداوات وشروراً عديدة ، ويُعدِم الحياة التي لا سلطان عليهـا إلا لمن وهبها وهو الله واهب الحياة والذي يحيي ويميت . فمن تجرأ إذن وسلب الحياة : فانه يقاوم الله ويخطف سلطانه . ولذلك فقد صرح سبحانه

مراراً عديدة بانه ينتقم من القاتل ويطالب القتلة الظالمين بدماء المقتولين ظلماً . منها قوله لقايين القاتل الاول « صوت دم اخيك صارخ إليّ من الارض . وقوله ايضاً : من يد الانسان اطلب نفس الانسان « تك ٤:٩ و ١٠ » . وقول داود النبي : اخبروا بين الشعوب باعماله لأنه مطالب بالدماء « مز ٩ : ١٠ و ١٢ » .

والشعور بمطالبة الله بالدماء ظاهر حتى عند البرابرة من البشر ، فان برابرة الجزيرة التي صعد اليها بولس عندما اوقدوا ناراً ليصطلي هو والذين معه حالما نظروا ان الحيّة قد تعلقت بيده قال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قاتلٌ لم يتركه العدل ان يحيا ولو نجا من البحر « اع ٢٨ : ٤ » . وقد اعلن الله كرهه لهذه الخطية في الشريعة القديمة ، باصداره امر القتل على من يقتل حيث قال : من ضرب انساناً ومات يُقتل قتلا « خر ٢١ : ١٢ » وسافك دم الانسان بالانسان يُسفك دمه « تك ٩ : ٦ » . فمن ترى يستهين بهذا العقاب وينصب نفسه عدواً لله والبشر بقتلهِ اخاه او رفيقه ؟ إلا من فقد الشعائر الانسانية ولبس الحلة الوحشية تماماً .

وربما يظن بعض هؤلاء انهم ان قتلوا احداً سيغتنمون ماله او يستريحون منه وهو ظن فاسد . اسمعوا القصاص الذي اصدره الله على القاتل الاول وهو نصيب كل اتباعه : ملعون انت من الأرض التي فتحت فاها لتقبل دم اخيك من يدك . متى عملت الأرض لا تعود تعطيك قوتها . تائهاً وهارباً تكون في الأرض « تك ٤ : ١١ و ١٢ » . فهذا هو نصيب القاتل الوحشي ههنا . واما في الابدية فنصيبه عذاب ابدي .

وربما تستغربون موضوعي هذا إذ لم تجرِ هذه العادة بينكم

قط . ولكني اريد ان ابيّن لكم ان القتل ليس نوعاً واحداً كما تظنون اي اعدام حياة القريب بالسيف او بالبارودة وغير ذلك من انواع السلاح . بل هو انواع مختلفة . قد يقتل الانسان رفيقه اذا منع عنه مساعدته حين احتياجه وتهاون بوسائل خلاصه ، او اذا كسر صيته ، او حرّكه الى الغضب وساقه الى فعل القتل بمشورته . وقد يقتله قتلاً مضاعفاً اذا أسقطه في خطيئة .

فاحذروا كل هذه الامور ايها السامعون وخصوصاً الغضب ، لأنه اصل القتل . وقد نهانا عنه الرب في العهد الجديد كما نهانا عن القتل في العهد القديم ، حيث يقول : قد سمعتم انه قيـــل للقدماء لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم . واما انا فاقول لكم ان كل من يغضب على اخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم « مت ٥ : ٢١ » .

ان الغضب متى تملّك في النفس اظلمها وحجب نورها كما تحجب السحب اشعة الشمس . ولذلك يحثنا الرسول على الاسراع في دفع الضغب قائلا : لا تغرب الشمس على غضبكم « افس ٤ : ٢٦ » لأن غضب الانسان لا يصنع بر الله « يع ١ : ٢٠ » . وما اقبح الشكل الذي يظهر فيه الغضوب وهو في سورة الغضب ، حيث يظهر فيه كمجنون . وقد اصاب الذين سمّوا الغضب جنوناً اختيارياً ، او حالة وحشية . فابعدوه إذن عنكم كل البعد ، واستعيضوا عنه بالحلم والدعة والتواضع : امور يحثنا الرب عليها بمثاله وبتعليمه ، حيث يقول : تعلموا مـــني فاني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة انفوسكم « مت ١١ : ٢٩ » .

وابتعدوا عن البغض ، لأن الباغض اخاه هو قاتل نفس ليس له حياة ابدية « ايو ٣ : ١٥ » . فيا له من شر مستطير يسلبنا الحيـاة

وكل خير فيها . فلازموا المحبة لأنها نور وحياة ، واسعوا في اثر خير القريب وفي حفظ حياته الروحية والجسدية معـــاً ، وساعدوه بحسب امكانكم عند احتياجه وضرورياته . اطعموه عند جوعه ، اكسوه عند عريه ، انشلوه عند غرقه ، ساعدوه بوسائل الشفا ابّـــان مرضه ، وازجروه بمحبة عند ارتكابه المعاصي . وارشدوه الى سبيل المحبة والسلام والى كل فضيلة يرضى بها الله . وبذلك تكملون واجباتكم نحو الله ونحو القريب ، وتستحقون شركة الخالق .

حفظكم الله من كل ظلم وغدر ، وساعدكم على عمل كل خير وفضل ، برحمته وعنايته آمين .

الباب السابع

في الوصية السابعة

— الآية —

لا تزن «خر ٢٠ : ١٤»

ليس بين الفضائل فضيلة محبوبة على الله مثل القداسة ، لأنها احدى صفاته السامية . وكما ان كل ذي جسد يصاحب نوعه . والانسان يصاحب نظيره : كذلك الله القدوس يسر بالقديسين . ولذلك لما خلق ابانا آدم خلقه في حالة البر والقداسة ، واخنوخ البار الذي لم يماثل بني جيله لم يُبقِهِ بينهم بل رفعه اليه ، ونوح الذي احترم هذه الفضيلة ولزمها مدة خمسمئة سنة حفظه ونسله من الطوفان وجعله للعالم آدماً ثانياً.

قد يحتمل الله بعض الخطايا ويمهل عليها . ولكنه لا يحتمل التمرّغ في النجاسة وفقد القداسة ، حتى انه لأجل هذا السبب نفسه أتى بالطوفان . وامطر ناراً وكبريتاً على مدن زاغت وراءها بكليتها .

بمثل هذه السياط أدّب الله البشر قاصداً ان يدركوا بواسطتها مقدار كرهه لفعل الرذيلة ، ودرجة حبه للطهر والقداسة . ولكن الضلالة

التي ملكت القلوب لم تسمح لهم بان يفطنوا بها . ولذلك لما اعطى الله موسى لوحي الوصايا سلّمه تلك الوصية السابعة « لا تزنِ » المدرجة في اللوح الثاني . ولم يكتفِ بها فقط بل اعقبها بوصية اخرى وهي الوصية العاشرة « لا تشتهِ امرأة قريبك ولا عبده ولا امته » وذلك لكي يستأصل جرثومة تلك الوذيلة من البشر . لأن الشهوة اصل الرذيلة . ومتى امتنع منها الانسان امتنع من التمرّغ في حمأة ثمرتها المكروهة .

ان الوصية « لا تزنِ » قيلت للجسد ، وأما الوصية « لا تشتهِ » فقد قيلت للنفس . فكما مَنع الجسد من الزنى الفعلي كذلك مُنعت النفس من الزنى الفكري . فلا يتورطن احدٌ باعتبار ذاته طاهراً وهو متشبث بالفكر الردي في قلبه . فان طهر النفس عند الله أعزّ من طهر الجسد . ذلك ان الاول هو الجسم والثاني هو الظل . والظل يتبع الجسم لا محالة . فطهر الجسد إذن يتبع طهر النفس . وما دام الفكر الردي في النفس فهي زانية نجسة . ولذلك بعد ان قال الله لا تزنِ لا تشتهِ اكملها في الانجيل بقوله « من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه » « مت ٥ : ٢٧ » .

ان الزيجة الشرعية قد باركها الله منذ البدء حيث قال : انموا واكثروا . وأيّدها في العهد الجديد بلسان رسوله قائلاً : ليكن الزواج مكرماً في كل شيء والمضجع طاهراً . فان الزناة والفسّاق سيدينهم الله « عب ١٣ : ٤ » . وتحذيراً من الوقوع في هذه الدينونة المخيفة أحببت ان اكلمكم باسهاب في هذا الموضوع مخلصاً لكم النصح حتى تجتنبوها ولا تشتبكوا بحبالها ، وتصونوا طهارتكم من كل ما يشين ، لانكم هيكل الله الحي واعضاء جسده « كو ٦ : ١٥ » .

ان الانسان بارتكابه خطية الزنى لا يتعدى وصية واحدة

فقط بل سائر الوصايا . أجل انه يتعدى بذلك أولاً الوصية الاولى لأنه عند اكماله رغائبه الرديئة يجحد الله الذي يراه . فلو اعتقد بوجوده وذكر وصيته الناهية لما ارتكب الجريرة وتلوّث بدنس الخطيئة . قال القديس مار يعقوب السروجي في ميمره على الابن الشاطر : ان ذهاب ذلك الخاطىء الى مكان بعيد : يُراد به اضحى ذا مشيئة رديئة بعيدة عن الله . لأنه لو لم يبعد قلبه عن الله لما ارتكب جريرة الخطيئة . فكأنه يتصور حال الخطية بان الله ليس هناك ولا يراه . ومن ثم يخطيء فاقدا الحس به من قلبه ومتى تملك هذا الشعور فيه خضع للباطل وفقد الحرية واستسلم ذاته لسادة ذلك المكان الذين هم الشياطين المردة الذين يضرمون فيه جذوة الشهوات الممثلة بالخرنوب مرعى الخنازير أي الاهواء الرديئة . وعلى هذا القياس ينكر الله أو يرتاب فيه أو ييأس من ملكوته . ومن يئس من ملكوته لا يمكنه ان يحبه لأن حب الانسان لله يفترض حفظ وصاياه . وتوجيه جميع افكاره واقواله وافعاله واشواقه لمن هو موضوع حبه . والحال ان الانسان بشهواته خالٍ من هذه كلها . فها كم الوصية الاولى محتقرة .

ويتعدى الزاني الوصية الثانية أيضاً ويصبح اقبح من الوثني ، لأنه عوض تمثال الخشب أو الحجر أو الذهب ينصب له تمثالاً لحمياً ، يقدّم له لا بخور بلاد العرب بل عقله وتصوراته وحركاته وجميع اشواقه . ولا يذبح له تيساً أو حملاً أو عجلاً لكن نفسه الأثمن والأعلى والأشرف من ذبائح العالم قاطبة . وقد دعا بعضهم هذه الرذيلة « مقاومة الله » لأنها تحاربه دائماً باشغالها عقل صاحبها وقلبه الواجب تخصيصه لله كالمخدع الجميل والاشرف . نعم ان هذه تُبعد العليّ القدوس من هيكله الانسان ومن مقدسه وتجلّس مكانه تمثالاً ترابياً يتقدم له بخور العبادة والسجود ، وقد صدق ما قاله بطرس الرسول بهذا الصدد عن هؤلاء الشهوانيين :

لهم عيون مملوءة فسقاً لا تكف عن الخطايئة « ٢ بط ٢ : ١٤ » وذلك لا شك فيه إذ لا توجد خطية تحارب الله حرباً عواناً كهذه . فان من أدمن على ارتكابها يخطىء في اكثر افعاله ، في شغله وراحته ، في حديثه وسكوته ، في اكله وشربه ، وفي سيره وقومه . وهكذا تُرى الوصية الثانية محتقرة .

ويتعدى الزاني الوصية الثالثة « لا تحلف » ايضاً . لأنه كثيراً ما يستعمل الحلف لأجل خداع من يريد أن يغويهم ليوقعهم في حبائله . ومتى قضى وطره الردي َسخَر من الآله الذي أقسم به كذباً . وان افتضح الأمر واقيمت الدعاوي فهناك شدّة الاقسام الباطلة ، والتجاديف ، والادعية على النفس بالعمى والسقم والموت ، وبالانفصال عن شركة الدين . ان كان قد ارتكب هذه الجريرة ، والحال انه مرتكبها . ومن ثم يكون منتهكاً لحرمة الوصية الثالثة أيضاً .

ويتعدى الزاني أيضاً الوصية الرابعة الآمرة بحفظ يوم الرب وتقديسه . لأنه يقضي هذه الايام بالأحاديث السمجة والزيارات المجونية ، والمراسح القائينية ، والمحافل البابلية ، بل انه يغتنم فرصة الاجتماعات والحفلات الكنسية للتشاهد والتناظر والتواجه وتفاقم شرّه . أفيحتقر الله اكثر من هذا الاحتقار ؟ ألعل ذلك الملتقط الحطب يوم السبت الذي أمر موسى رجمه بالحجارة : قد اهان عزّة الله السامية اكثر من هذا الشيطان المتجسم ؟ فتأملوا .

ويتعدى الزاني أيضاً الوصية الخامسة « اكرم أباك وامك » لأن من احتقر الله جلّ شأنه ووصاياه الخاصة أفيعتبر الناس أو يحترم والديه أو يسمع لهما ؟ كم من الوصايا والتحذيرات يلقيها الوالدان على

مسمع بنيهما وبناتهما لكي يتحذروا من الطرق الرديئة والمعاشرات الفاسدة التي تؤدي بهم الى احتقار الله وشرف جنسهم . ويصبحون اضحوكة بين الناس الذين يشيرون اليهم بالبنان . ولكن من امسيك بهذه الشبكة لا يأبه للوصية أو للنصيحة ، بل ويقسو قلبه كالجلمود ، حتى انه لا يتأثر من حنو نصائح الوالدين ، بل يضرب بهما عرض الحائط . وربما بارتكابه العار انزلهما الى القبر حيين . وعلى هذه الصورة ايضاً نجدون الوصية الخامسة مهملة .

ويتعدى الزاني ايضاً الوصية السادسة الناهية عن القتل . إذ بعد ارتكاب الجرم والفضيحة : تستعمل احياناً كثيرة مختلف الوسائل لقتل ما في الارحام تستراً من فضيحة الناس . وعلى هذه الصورة يصبح الزاني قاتلاً بحتاً : كما قال شيشرون : « ان الامرأة الزانية قاتلة » . كم مرة حدثت بسبب هذه الخطية وقائع خطيرة تجندل فيها قتلى كثيرون ألم تخرب شكيم ويُقتل اهلها بسبب اعتداء مليكها على طهارة ابنة يعقوب ؟ ألم يتلف سبط بنيامين ويسقط خمسة وعشرون الفاً من بني الاسباط الاخرى بسبب ارتكاب اهل جبعة الفجور مع امرأة اللاوي ؟ ألم يكن القديس يوحنا المعمدان ابن زكريا الكاهن ضحية فجور هيرودس وهيروديا ؟ هذا جزءٌ مما اورده التاريخ المقدس . ولو اردنا استقصاء اخبار التاريخ العالمي لضاق بنا المجال . فاتضح الامر إذن : انه بواسطة الزنى تُنتهك وتحتقر الوصية السادسة ايضاً .

ويتعدى الزاني هذه الوصية السابعة « لا تزنِ » فعلياً كلما ارتكب الاثم ، وفكرياً كلما اطلق العنان لنظره الفاسد ولفكره الردي .

ويتعدى الزاني ايضاً الوصية الثامنة « لا تسرق » لأنه كما

يقول الحكيم « بسبب امرأة زانية يفتقر الانسان الى رغيف خبز » ام ٦ : ٢٥ » فيبدأ أولاً بسلب مال اولاده الشرعيين وما هو مختص به-م لأجل معيشتهم ، فيوزعه على الفواجر وأولاده النغول . وكما ان اسباب الهدايا والرشى تضيع هدى عقل من تورّط في عبابها ، كذلك والشهوة كلما توغّل الانسان في غايتها أذلته واظلمت بصيرته وجعلته سخيـاً نحو الغرباء وبخيلا على اهل بيته . ثم اذا فقد الزاني ماله الخاص مالَ الى مال جاره وشريكه وعميله ووكيله . وانه لركن مطروق وقاعدة شائعة عند العامة « الفاسق سارق » .

ويتعدى الزاني ايضاً الوصية التاسعة « لا تشهد بالزور » فما اكثر الاكاذيب التي يخترعها الزناة ، وما اكثر الشهادات المزورة الـتي يبرزها العاهرون لكي يبرئوا ساحتهم . فيلطخوا ذنبهم بشخص غيرهم . كما نقرأ في التاريخ البيعي عن شخص في نصيبين ارتكب الخطيئة وأتهم بها شخصاً بريئاً ظلماً . وكما ذكر ايضاً في قصة مارانه البارة المتزيئة بزي رجل . فقد اتهمت بزنى وهي امرأة بتول لا رجل . غير ان الله اظهر براءة الاثنين كاشفاً حقيقة الامر .

ويتعدى الزاني ايضاً الوصية العاشرة « لا تشته » لأنه يمسك اولاً بالشهوة ثم يقع في الفعل فلو احترم وصية (لا تشته) لما اجترم ذلك الفعل المنكر . وهكذا ترى الوصية العاشرة غير محترمة منه .

فقد اتضح ثقل هذه الجريرة وعظمها من ان حرمة الوصـايا الالهية كلها تنتهك بها . ولذلك فهي مكروهة لدى الله كل الكره . وبسببها كما قلنا آنفاً اغرق الارض بطوفان عرمرم ، واحرق مدناً من اجمل مدن العالم وازهاها . فهو يكرهها لأنه تضاد صفته القـدوسة .

ولذلك يقول مار افرام السرياني : كما ان الدخان يطرد النحل كذلك النجاسة تطرد الروح القدس . ولعلم القديسين بكراهة الله لها ارتضوا على ان يقبلوا كل انواع الضيق و لمشقة من ان يعرضوا نفوسهم لاخطارها. فالقديس مارطينيان لما قصدته احدى الباغيات لتوقعه في الخطية ، اضرم ناراً ووقف في وسطها واستدعاها الى القيام بجانبه فيها ، وإذ أبت القدوم صرح لها : بأن نار الخطية تلذع النفس اكثر من هذه النار المادية ، واحدى العذارى الطاهرات في الاجيال الاولى لما شعرت بان احد الشبان يعثر بها ، فضلت ان تحبس ذاتها في كوخ ضيق على ان تصير سبب عثرة لسواها .

الى مثل هذه الطرق لجأ رجال الله القديسون والنساء التقيات في سبيل المحافظة على الطهر . أفتؤمل ايها الشهواني وانت تتقلب مع ميولك الرديئة ان ترث الفردوس مع هؤلاء الابطال الاطهار ؟ هلا تخاف ؟ هلا تجزع من جهنم الابدية المعدة لك ؟ ألا تعلم انك بدون فضيلة الطهر ستخسر كل شرف انت عليه روحياً كان أم جسدياً ؟ وانتِ ايضاً ايتها المرأة لا تقدرين ان ترفعي رأسكِ بدون ان تتحلّي بقلادة الطهر .

وخلاصة الكلام . انه مهما كان الانسان على صفات الكمال يكفي لتسويد سمعته وانحطاط قدره الاشتباه به بهذه الرذيلة الممقوتة ، حيث يصبح مكروهاً عند الله وعند البشر وعند ذاته نفسها . لأنه بعد ان يكون قد تمم رغائبه يغرق في بحر من الاكدار ، ويأخذ يتكره من فعله الذميم لتقريع ضميره اياه وتمزق قلبه ، فيرى انه بلذة وقتية صار مديناً لله بالخطية ، وللقريب بالرد ، ولنفسه بالشرف . هذا اذا لم اقل ان صاحب هذه الرذيلة يبتلى باسقام وأوجاع يعجز عنها نطس

الاطباء ويتعرض للتطوح به في ابدية العذابات التعيسة ، فاذ ثبتت قباحة هذه الخطية سبيلنا ان نصغي الى قول اشعيا النبي القائـــل « اغتسلوا وكونوا اطهاراً » « اش ١ : ١٦ » .

فان شئت الخلاص ايها الخاطیء فلا حيلة لك ان لم تغتسل من اوساخ الشهوة المتأصلة فيك . ان المخلع الذي كان مطروحاً في بركة بيت حسدا تشكى من انه لم يكن له من يرميه في البركة عند تحريك الماء ، فما شكواك انت عنـد تأخرك عن الجحيم الروحي وهوذا بركة الرحمة ، باب التوبة ، كرسي الاعتراف مفتوح امامك . كم مرة نصحناك من فوق هذا المنبر مع بولس الرسول قائلـين : ليس للزاني والنجس ميراث في ملكوت الله « افس ٥ : ٢٥ » كم مرة ذكّرناك بانـك هيكل الله الحي ، ويجب ان تحتفظ بهيكلك ، باناء جسدك بقداسة وكرامة ، لا في هوى شهوة « افس ٤:٤ » وبأننا انما دُعينا للقداسة لا للنجاسه ..؟ فالى متى لا تبالي بخلاصك ؟ ان الله قد امهلك منتظراً توبتـك . فانتهز الفرصة وامتثل امره بلسان النبي .

اغتسل من حمأة شهواتك بالاعتراف النقي والندامـة الكاملة ، وكن طاهراً ، أي استعمل الوسائط المساعدة على حفظ الطهارة ، وأول هذه الوسائط التواضع ، فكن طاهراً ايها المؤمن بتواضعك ، ان اكبر قصاص يعاقب الله به الانسان المتكبر هو انه يتركه لشهواته الظـالمة ، ليفضح جسده في نفسه كما شهد الرسول « رو ١ : ٢٦ » وليس على الخاطیء فقط ان يتواضع بل على البار ايضاً ، لأن البار مهما تسـامى في طهره لا يزال في خطر السقوط،إذ ليس في هذه الحياة امان واطمئنان بل حرب عوان ، فليحترز كل منا على الدوام ، لأننا قوم مسـافرون في بحر هذا العالم وسفينتنا وَهِنة وهي جسدنا المنخور « فمن ظن انه

قائم فليحذر ان يسقط « اكو ١٠ : ١٢ » ها ان شهواتك تقلقك كالذباب وتضجرك وتتسلط عليك . وذلك لأنك متجبر ومتكبر ، فتذلل بين يدي الله والناس لترى اماراتك تتبدّد يوماً فيوماً . فان إلهنا يرحم الاطفال المتضعين ، « اتضعت فخلصني » « مز ١١٦ : ٦ » .

كن طاهراً بهربك من اسباب الخطية ، أي من مطالعة القصص المجونية ، ومن التحدق بالتصاوير السمجة العارية غير المحتشمة . لأن العين التي لا تقشع لا تشتهي ، والاذن التي لا تسمع لا تطن ، ولأن الافكار السيئة تفسد الضمائر السليمة « ا . كو ١٥ : ٣٣ » .

كن طاهراً بهربك من المعاشرات الرديئة ، قد يصعب على الانسان حفظ الطهارة وقد علق قلبه بحب فاسد . فاذا كنت يا هذا رجلا ينبهك الروح القدس بلسان الحكيم قائلا « لا تدن من باب منزل الامرأة الاجنبية لئلاّ تدفع زهرك الى غيرك وعمرك للقاسي « ام ٥ : ٩ » ولماذا ؟ لأن امرأة الرجل الغريب تصطاد النفس الكريمة ... أيأخذ انسان ناراً في حجره ولا تحترق ثيابه ؟ ام يمشي احد على الجمر ولا تكتوي قدماه ؟ « ام ٦ : ٢٦ » ، وان كنتِ امرأة فأصغي الى نصائح رسل الرب : اجتنبي البطالة وفضول الكلام والاماكن الخطرة « اطيم ٥ : ١٣ - ١٥ » واحرصي على ان تكون زينتك زينة الانسان الخفي ، لا الزينة الخارجية « ابط ٣ ٣ - ٤ » كما يليق بامرأة تقية متعاهدة بالعفة .

كن طاهراً وانت في عنفوان الشباب بهربك من المواكيل الدسمة والموائد المتفننة الاطعمة ، ومن الامتلاء من الخمر التي فيها الخلاعة ، فان الحكيم يقول « من ربى عبده في الدلال منذ صباه يكون في الآخرة مارداً عليه « ام ٢٩ : ١ » وقال مار فيلكسينس المنبجي : كما تتقوى النار

وتتعاظم بالنفط والزيت كذلك تضطرم الشهوة في الاعضاء بالاكل والشرب ، أي بالافراط فيهما ، ويقدم من ثم الدواء المار ذكره ويحث على استعمال الصوم قائلا : كما يطفىء الماء النار كذلك يطفىء الصوم الشهوة . هذا اذا كانت الشهوة صادرة من حرارة الجسد ، ولكن ان كانت من قلة الاهتمام باقتناء الفضائل ، فيجب ان يحمّي العقل بالهذيذ في الامور الروحية والتعاليم السموية ، وان يداوم على قراءة اخبار القديسين ، وان يوضع رسومهم امامه لكي بواسطة النظر اليها يجتذب الانسان الى التشبه بهم . واكثر من كل شيء تجب المواظبة على الصلاة ، فانها تكسب العقل قوة فيغلب بشجاعة الاهواء التي تحاربه . وهذه النصائح هي وفقاً لما قاله الرب « ان هذا الجنس لا يمكن ان يُخرج بشيء إلا بالصوم والصلوة » مر ٩ : ٢٩ » .

ولا يفوتنك ستعمال هذا السلاح الآخر الذي كان يستعمله مار افرام لقهر الشهوة وهو الاشتراك بالاسرار المقدسة حيث يقول في احد مداريشه « اني بنار (١) القربان اطفأت لهيب النار المضطرمة في اعضائي لكي لا تحرقني » .

وقاكم الله من نار هذه الخطية ، وقوّاكم على ان تكونوا اطهاراً قديسين بنفوسكم واجسادكم ليتمجد الله فيكم كما يتمجد في هياكله المقدسة ، آمين .

---

(١) وروي بماء القربان .

الباب الثامن

في الوصية الثامنة

الآية

لا تَسرِق « خر ٢٠ : ١٥ »

كما ان الفلاح النشيط يجدّ في استئصال الادغل من جذورها لئلا تخنق الحنطة النقية بنموها : كذلك انا الاجير لدى رب الكرم بذلت الجهد في البحث عن جرثومة الشرور لاستأصلها فوجدت القديس بولس يجهر قائلا « ان حب المال اصل كل شر » « اطيم ٦ : ١٠ » .

فاتخذت من ثم فأساً لقطعها وصية الرب الثامنة القائلة لا تسرق عملا بقول الانجيل « كل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع وتلقى في النار » مت ٣ : ١٠ » .

٢ : ان الاسباب التي دعت الى ان يُشبّه حب المال باصل الشجرة هي اولاً : لأن حب المال محجوب عن النظر وصعب اقتلاعه نظير اصل الشجرة المخفي في الارض وصعب اقتلاعه . ثانياً : لأنها تغذي وتقوي بقية الشرور نظير جذور الشجرة التي تغذى وتقوي

الفروع . ثالثاً : لأن نفس محب المال الطماع والبخيل منحنيـــة دوماً نحو الارض وخماماتها نظير الجذور التي في قلب الارض وهي لا تعاين النور . ولذلك السبب نفسه شبهوا محب المال بالخلد الاعمى الذي يربو ويعيش في وسط التراب ولا يعيش إلا باكله .

٣ : بما ان الله قد خلق الانسان منتصباً لا منحنياً نظير الحيوانات وقصده من ذلك ان يحول نظره عن الارض الى السماء الى حيث اعِدّ له ميراث ابدي . وكانت الميول السالف ذكرها تضاد غايته الشريفة على خط مستقيم ، إذ تميل به الى التعلق بالارض ليـكون اشبه بالحيوان . وضع الوصية الثامنة القـائلة « لا تسرق » وشددهـــا بنهيه في الوصية العاشرة قائلا « لا تشتهِ بيت قريبك ولا ثوره ولا حماره ولا كل ما له » . وكما انه تعالى نهى البشر عن القتل حفظاً للحياة: كذلك نهاهم عن السرقة حفظاً للارزاق التي هي وسيلة ثانية للحياة ، وألزم كل واحد بأن يقتنع بما يرزق به . فسبحانه من مدبر حكيم ومشترع فطين يصون اتباعه من كل ما يشين .

٤ : السرقة هي سلب مال القريب بدون عوض : وهي على نوعين : حسية ومعنوية ، فالحسية ، منها ظاهرة كالظلم والجور والاغتصاب والرشوة والخطف والنهب ، ومنها خفية وهي اللصوصية ، ومسك اللقطة المعروف صاحبها ، ونسيان الأشياء المستعارة . والمعنوية وهي تشمل عدة امور منكرة ، منها المعاملة الرديئة ، والغش في الأخذ والعطاء والغدر والخيانة في البيع والشراء ، والاحتيال بتصغير المكاييل وتنقيص الموازين أو بتكبيرها ، والتصنع في التجارة ، والتظاهر بالافلاس ، والتقاعد عن اداء الدين مع الاقتدار على ايفائه . وقد نهى الله عن هذه جميعها بنوع

عام بوصيته « لا تسرق » وبنوع خاص في عدة وصايا واردة في كتابه المقدس .

فقد نهى عن المعاملة الرديئة بقوله : لا يكن لك في كيسك اوزان مختلفة كبيرة وصغيرة ، لا يكن لك في بيتك مكاييل مختلفة كبيرة وصغيرة ، وزن صحيح وحق يكون لك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب إلهك ، لأن كل من عمل غشاً ذلك ، من كل مكروه لدى الرب إلهك» تث ٢٥ : ١٠ - ١٦ » وقد قال ايضاً بلسان الحكيم : « موازين غش مكرهة الرب ، والوزن الصحيح رضاه .. محتكر الحنطة يلعنه الشعب والبركة على رأس البائع « ام ١١ : ١ و ٢٦ » .

وقد صعق بلسان نبيه عاموس قائلا : اسمعوا هذا ايها الضامئون الى دم المسكين وافناء بائسي الارض قائلين متى يمضي رأس الشهر فنبيع الميرة،والسبت فنعرض البر مصغرين الايفة ومكبرين المثقال ومستعملين موازين الغش مقتنين بالفضة المساكين والفقير بنعلين وبائعين نفاية البر . قد اقسم الرب على زهو يعقوب اني لا انسى عملا من اعمالهم الى الابد ، أفلا ترجف الأرض لأجل ذلك وينوح كل ساكن فيها وتطمو كلها وتطفح كنهر ثم تنضب كنهر مصر « عا ٨ : ٤ - ٨ » .

وقال عن الجور والظلم والرشوة والاغتصاب : لا تغصب قريبك ولا تسلبه ولا تبت اجرة اجير عندك الى الغد «لا ١٩ : ٣ و ٣٥» وقال ايضاً لا تجوروا في الحكم ولا تحابوا الوجوه ، ولا تأخذوا رشوة لأن الرشوة تعمي ابصار الحكماء وتحرّف اقوال الصديقين واتبع الحق لكي تحيا « تث ١٦ : ١٩ و ٢٠ » .

هذه هي نواهي الله عن خطية السرقة وفروعها ، وهي تصرّح

بنوعٍ جلي عن كراهة الله لها ولمن يأتيها . وقد أبان بعضاً من قصاصاتها . وهي تقصير العمر حيث يَعِد من يستعملون الموازين والمكاييل الصحيحة بطول الايام . وبالطبع من سار بعكس ذلك كان جزاؤه قصر العمر فضلا عن العقاب الأبدي .

ولكي يتضح لكم اكثر جرمها واضرارها ونتائجها الوخيمة : رأيت ان أتبسّط في الكلام عنها لكي تكونوا بعيدين عن حوزتها .

١ : تستنتج من كلام النبي داود القـــائل « للرب الأرض بملئها : الدنيا وكل سكانها « مز ٢٤ : ١ » ان مال القريب الذي يطمع فيه السارق هو مال الله العام . كما ان مال الفقراء والارامل والأيتام ومال الأوقاف هو مال الله الخاص ، وهو جلّ اسمه قد امر ان لا يُسرق ، فالذي يرتكب السرقة يخالف امر الله ويعتدي على حقوقـه . والويل لمن يطمع في مال الفقراء الذين سماهم اخوته ، فانه بلا شك يجمع ناراً ليحترق بها نظير عخان بن كرمي ، او يعجـل بدعوة الموت الى ذاته نظير حانيا وشفيرا . او يُعِدّ له حبلا ليختنـــق به شبه يهوذا الاسخريوطي .

٢ : ان السارق يقاوم سنّة العدل التي تأمر بان يُعطى كل ذي حق حقه ، وتصرح بان ارزاق الناس مختصة بهـم وبأمرهم . ومن قصد اغتصابها بأي نوع كان من السرقة فقد سلب ما لا يخصه واعتدى على حق رفيقه .

٣ : ان السارق بارتكابه فعـــل السرقة يعكر جو المحبة والسلام وتتكاثر التهم الباطلة والظنون الرديئة وتظهر البغضة والعداوة .

واحياناً كثيرة يُصدِّر بعض الحكام احكاماً قاسية على اناس ابرياء لوقوع التهمة عليهم . وهنا يظهر جرم السرقة وعظم شناعتها .

٤ : ان السارق يعرّض ذاته والذين يريد سلبهم لاخطار مريعة . فاحياناً كثيرة عند شعور اهل البيت به يهرب فتنكسر رقبته او تتعطل يده او رجله ، وان القي القبض عليه يحاول التخلص من ايديهم ضارباً وفاتكاً بهم . وكم من المسلوبين عضّهم ناب الفقر واكتنفهم الشقاء بسبب نقص مالهم او فقدانه .

٥ : ان السارق قبل ان يسرق يتأهب للكذب والشهادة الزور وللقسم الباطل . وبهذا تنتهك عدة وصايا ويحتقر اسم الله العظيم، ويُبدّل الدائم بالزائل وذلك لأجل ربح زهيد .

٦ : ان المرتكب لخطية السرقة لا بد له ان ينال جزاء اثمه ههنا . اولاً من الحكومة التي من واجبها صيانة اموال رعاياها كما تصون ارواحهم محافظة على العدل وتوطيداً للامن والسلام . وهنا حدث ولا حرج عن العقاب الذي سيناله منها إن ثبت عليه جرم السرقة ، إذ تلقيه في مكان ضيق مغللا بالقيود والحديد ، وتطعمه خبز الضيق سداً للرمق . وتتركه يعاني مشقات لم يحلم بها وهو مطلق الحرية . وبعد ان يطلق سراحه ، ينال جزاءه من الناس الذين عرفوه ايضاً ، إذ يعتبرونه ساقطاً ولا يأتمنونه على الدخول اليهم ، وان دخل يتكافون بمراقبته اما بذاتهم أو بواسطة غيرهم . وعلى هذا المنوال يصبح مكروهاً ومنبوذاً حتى عند الاقربين اليه ويضحي شرفه دون شرف الحيوان .

٧ : ومما لا شك فيه : ان السارق يقصد غالباً بارتكابه السرقة ان يستكفىء او يستغني . ولكن فليبشر بالعقر ابداً . كما يقال

في المثل الدارج : غرش حرام يودي الفاً حلال ، وشبر حيلة بذراع فقر » وبهذا الصدد يقول الله بلسان النبي حبقوق « ويل لمن يطمع جامعاً الشر لنفسه « حب ٢ : ٩ » وقال ارميا « الحجلة تحضن ما لم تبض . كذلك من يجمع الغنى بغير حق ، لكنه يتركه في منتصف ايامه ، وفي آخرته يكون احمق « ارم ١٧ : ١١ » وقد قال الحكيم « ذو العين الشريرة يعجل الى الغنى ولا يعلم ان الفقر يأتيه «ام ٢٨. ٢٢»

هذه هي ثمرات السرقة ونتائجها الاليمة . فحذار ان يعلق احدكم بشصها ، لكن احفظوا بالحري الحق واجروا العدل لكي تنالوا الخلاص والطوبى من الرب « اش ٥٦ : ١ » وتسلحوا ضدها بالرحمة إذ ليس مثلها سلاح ماضٍ لقهر هذه الخلة الدنيئة . ولذلك حين اراد الرسول بولس معالجتها قال « من كان سارقاً فلا يسرق فيما بعد بل فليكد ويعمل بيديه ما هو صالح لكي يكون له ما يشرك المحتاج فيه « افس ٤:٢٨ » ، وهكذا المعلم السماوي يسوع حين تأمل ارتباك البشر في كسب المعيشة وميلهم الى اكتسابها بطرق غير محلة دعاهم الى التأمل في الطيور وزنابق الحقل وحثهم على طلب ملكوت الله وبره اولاً ثم يزداد لهم كل شيء ، ثم شجعهم قائلا : لا تخف ايها القطيع الصغير لأنه قد حَسُنَ لدى ابيكم ان يعطيكم الملكوت « لو ١٢ : ٣٢ » ، وكأني به يقول لهم : فاذا كان ابوكم مستعداً ان يعطيكم الملكوت فكم بالاولى امور المعيشة الزهيدة ؟ ولكي يزهدهم في فكرة الطمع وحب المال والاكتناز في الأرض كلفهم اعطاء الصدقة ليس والمال فائض عندهم : بل عند قلّته قائلا : بيعوا ما هو لكم وتصدقوا ، اجعلوا لكم اكياساً لا تبلى وكنزاً في السموات لا ينفذ حيث لا يقربه سارق ولا يفسده سوس ، لأنه حيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم « لو ١٢ : ٣٣ و ٣٤ » .

فاطلبوا إذن ما فوق اركين خسائس الأرض وتمسكوا بالعدل معطين كل ذي حق حقه ، وحافظوا على مال القريب ، كأنه مال الله المستودع لديكم ، واهربوا من كل المعاملات الرديئة ، من احتكار المواد الغذائية الضرورية للحياة ، ومن الغش والمكر والتحيّل مستندين الى الاخلاص ، ومتكلين على الرب الذي هو الصخرة المتينة بدلاً من ان تستندوا الى هذه القصبات المرضوضة التي تنقب من يتوكأ عليها . واذا وجدتم لقطة في الأرض وعرفتم اصحابها ، أو سمعتم المنادي ينادي عنها فاسرعوا في اعادتها ، أو سلموها الى إحدى دوائر الأمن : لأن خطية السرقة لا تغفر إلا بالرد ، ولا خلاص للسارق حتى يرد ما قد اغتصبه « لا غفران للذنوب بدون رد المسلوب » . اسمعوا ما قاله زكى العشار لما حل يسوع في بيته : هأنذا يا رب اعطي المساكين نصف أموالي ، وان كنت قد غبنت احداً في شيء أرد اربعة اضعاف » والحال قال له يسوع « اليوم قد حصل الخلاص لهذا البيت « لو ١٩ : ٨ » .

فالخلاص مكفول لمن يفتح الكيس ويرد ما غبن ، ويتصدق بما تستطيع يداه ، وبالعكس فهو مردود عمن يغلق على الكيس ، ويطبق على الحرام ، ويأبى ان يمد يده بالرحمة .

فتمثلوا إذن بزكى ، وبادروا الى الالتحاق به لتسمعوا مثله « اليوم قد حصل الخلاص لكم ، وتدربوا على أعمال البر والرحمة ليبارك الرب اعمالكم وينمي ارزاقكم الحلال فتنظموا في زمرة الأبرار فرحين .

وقاكم الرب من روح الطمع الذي يسوق الى المنكرات ، وقواكم على عمل الخيرات والمبرات برحمته آمين .

الباب التاسع

في الوصية التاسعة

— الآية —

لا تشهد على قريبك شهادة زور

« خر ٢٠ : ١٦ »

كما ان قائد الجيش الذي ينوي الانتصار على العدو يحذر ويحذّر جنوده من كل الامور الباعثة على الانكسار ، والتاجر الذي يقصد الربح يحترز ويحذّر عماله من كل ما يسبب الضرر والخسار . كذلك الله جلّ اسمه الذي يريد جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون قد حذّرنا بوصاياه ونهنا بنواهيه عن امور كثيرة تضاد الحق وتسبب الهلاك لنجتنبها . منها هذه الوصية التاسعة القائلة « لا تشهد على قريبك شهادة زور » .

ان خبر السامري في الانجيل يعلّمنا جيداً من هو القريب ، أي كل واحد من اخواننا في البشرية .

اما الشهادة فهي الاخبار عن الغير سواء كان في مجلس القضاء

الشرعي أو في سواه . فان كانت صدقاً سُمّي مؤديها شاهداً صادقاً . وان كان كذباً دُعي شاهد زور .

وشهادة الزور ولا سيما في مجلس القضاء اثم عظيم . لأن مؤديها يقسم أولاً بأنه لا يخبر إلا بالحق . فشهادته إذن بخلاف الحق اثم ، وذلك الاثم يتضاعف ويتضاءل بحسب الاضرار الناجمة عنها .

واذا كان الله ينهانا عن كل كلمة بطالة فكم بالحري ينهانا عن شهادة الزور وعن كل ما يمس بصيت القريب وكرامته ، سواء كانت بالغيبة او بالدينونة الباطلة او بظن السوء او بالنميمة . فكل هذه وامثالها تعاكس على خط مستقيم محبة القريب التي هي خلاصة وغاية اللوح الثاني من لوحي الوصايا العشر .

ان شهادة الزور هي ارتكاب الكذب الذي اخترعه الشيطان لأول مرة ، وهو مكروه كل الكره عند الله والناس .

ومن غريزيات البشر انهم يبتغون المعرفة ولا يريدون ان يُغشوا او يخادَعوا ، بل بالحري ان يعرفوا الحق ويطلعوا عليه . ومن خواص الحق ان يُحَب ، وحيث ان الخطية تعمي العقل وتفسد الفطنة . لذلك كثيرون من اهل الدنيا يبغضون الحق ويحبون الباطل والكذب . وما ذلك إلا لارتكابهم الهوى ولتمسكهم بالشر ، ومثلهم في ذلك مريض مثلٍ يشتهي ان يتناول من الاغذية ما يضر بصحته . فكما يحذر الطبيب المرضى من استعمال ما يضر ، كذلك الطبيب السماوي قد حذّرنا ونهانا عن شهادة الزور المنافية للحق والمضرة بخير القريب .

ان شهادة الزور اكذوبة يتفوّه بها الانسان بخلاف ما في

ضميره بنية الغش والخداع ، أو الاساءة الى القريب بغير حق ، واستعمالها مناف للصواب من عدة وجوه ، أولاً : لأن بها يستخدم الانسان الالفاظ لغير الغاية التي وضعت لها . ثانياً : لأن بها يندرس نظام الاجتماع الانساني المستند الى معاملاتهم وتصرف بعضكم مع بعض . ولهذا يوصي الرسول قائلا : لا يكذب بعضهم على بعض « كو ٣ : ٩ » . ثالثاً : لأنها عار ودناءة فمتى عُرف شخص بالكذب وشهادة الزور فَقَدَ كل شرف له واصبح مهاناً دنيئاً في عيني الجميع .

قد يتوهم البعض انهم يستفيدون من الكذب ، ولكن وهمهم هذا باطل ، تأمل جيحزي تلميذ اليشع الذي تغلب عليه الطمع فكذب على نعمان السرياني قائد مملكة ارام واغتنم منه حلتي ثياب ووزنتين من الفضة حسبها ربحاً جزيلاً ومضى بها وخبأها في بيته فرحاً ، ولكن ما اقصر افراح هذا الدهر وما اسرع زوالها ، ذلك انه لما سُئل وكذب على اليشع معلمه وانكر فعله : وبخه على ذلك توبيخاً مريراً وختم كلامه بهذا النوع « فبرص نعمان يلصق بك وبنسلك الى الأبد » فخرج من ثم من امامه ابرص كالثلج وفقد صحته التي كانت اثمن شيء لديه . فما ابخس هذا الربح وما ابشع نتيجته ، ومثله ايضاً حنانيا وسفيرا اللذان كذبا على الرسل فصُرعا حالاً وصارا عبرة لباقي التلاميذ . ولذا قيل الكذب اساس كل بلية .

ان شهادة الزور هي من جملة الامور التي تنجس الانسان على ما قال الرب للفريسيين « ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان .. لأن .. كل ما يدخل الفم ينزل الى الجوف ويدفع الى المخرج . واما الذي يخرج من الفم فمن القلب يصدر وهو الذي ينجس الانسان ... من القلب تخرج الافكار الرديئة : القتل ، الزنى ، الفجور ، السرقة

شهادة الزور ، التجديف . هذه هي التي تنجس الانسان » مت ١٥: ١١ - ٢٠ » .

وما اكثر ضحايا هذه الخطية وما اكبرها . ما الذي القى يوسف في الحبس ؟ أليس شهادة تلك المرأة العاهرة الكاذبة ؟ . ما الذي سفك دم نابوت البرىء في ايزرعيل ؟ أليس شهادة ذينك الشخصين ابني بليعال الشريرين ؟ . ما الذي كاد يسوّد عرض سوسنة العفيفة ؟ أليس شهادة ذينك الشيخين الرديئين ؟ . الى أي شيء اسند الحاكم المدني حكمه عند صلب يسوع ؟ أليس الى شهادة رؤساء شعبه الأثمة بانه سجّس الشعب وقائم ضد قيصر ؟ كم من مظالم أرتكبت وترتكب ؟ كم من دماء بريئة أهرقت وتهرق ، كم من اعراض ناصعة سُوّدت وتسوّد بسبب الشهادات والافتراآت الباطلة ؟

ولكن مهلاً ، وان كان الحق يختفي احياناً بزور الشهادات الباطلة ولكنه لا يلبث حتى يظهر عالياً مرتفعاً فوق تلك الشهادات والافتراآت كما يطفو الزيت على وجه جميع السائلات ، ويعلو العود اليابس فوق الماء بعد ان رُمي اليه وغطّ فيه . ذلك ان قوة الحق عظيمة كالشمس التي لا يستطيع احد مقاومتها ، وان قاوم فلا بد من خذلانه . ولذا قيل في الامثال الحكمية « الحق يعلو ولا يُعلى عليه » .

خفي الحق مرة في مصر حين صدّق فوطيفار افتراء امرأته على يوسف الصديق وحبسه ، ولكن ما عتّم ان ظهر بعد ذلك جلياً حين جُعل يوسف سيداً على مصر تبكيتا للزور والبهتان . وكذلك خفي الحق يوم سُفك دم نابوت بشهادة ذينك الاثيمين في ايزرعيل : ولكنه

ظهر اخيراً بصراحة حين لحست الكلاب دم اخاب ونهشت لحم ايزابل التي كانت سبب سفك ذلك الدم البريء .

لقد انتصب الزور يوماً في بابل لمقاومة الحق والاستظهار عليه حتى أتهم الشيخان الكاذبان سوسنة العفيفة . ولكن لم تطل المدة حتى نكّس البُطل رأسه مخذولاً امام الحق الذي ظهر بحكمة دانيال ، لأن من عادة الكذب ان يصمت متى دنا الحق لمصافقتـه إذ لا قوة له على مقاومته .

والزور لا ينحصر بهذه العاقبة لكنه يمتد الى ان يورد على صاحبه الاثم والهلاك . قال النبي داود : تهلك جميع المتكلمين بالكذب « مز ٥ : ٦ » وقال الحكيم شاهد الزوو لا يتبرأ ، المتكلم بالاكاذيب لا ينجو « ام ١٩ : ٥ « شاهد الزور يهلك « ام ٢١ : ٢٨ » . الرب يبغض شاهد الزور الذي يتفوّه بالاكاذيب « ام ٦ : ١٨ » . ولسان الكاذب انما هو الى طرفة عين وكراهة الرب شفتا كذب « ام ١٤ : ١٩ و ٢٢ » .

وما اشد واعظم الحكم الذي اعلن ليوحنا صاحب الرؤيا حيث قيل عن المدينة المقدسة العليا : لا يدخلها نجس ولا فاعـل الرجس والكذب إلا الذين كتبوا في سفر الحياة للحمل « رؤ ٢١ : ٢٧ » .

فاذا علمتم ايها الاحباء ان هذه هي العاقبة الوخيمة لشهادة الزور القتالة الأليمة ، احذروها لأن الهلاك ثمرتها والموت محصولها . تجنبوها لأنها مكرهة عند الرب . كما اوضح بلسان نبيه زكريا « لا يفكرن احد في السوء على قريبه في قلوبكم ولا تحبوا يمين الزور لأن هذه جميعها اكرهها يقول الرب « زك ٨ : ١٧ » .

وابتعدوا بالكلية عن الكذب لأن حبله قصير . وليس خفي لا يظهر ، واضراره للمجتمع البشري جسيمة ، ولازموا الصدق لأن فيه النجاة والنجاح وكل فائدة .

عصمنا الله واياكم من الكلام الباطل وشهادة الكذب والزور ، وألهمنا بروحه دائماً على التفوه بالصدق تمجيداً لاسمه القدوس ، آمين .

الباب العاشر

فى الوصية العاشرة

الآية

لا تشته بيت قريبك . لا تشته امرأة قريبك ولا عبده
ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك
« خر ٢٠ : ١٧ »

الشهوة هي ميل النفس نحو الملائم وغير الملائم . فالاولى مباحة لأنها تشتهي ما هو خير وصالح . قال الحكيم « شهوة الابرار خير فقط » « ام ١١ : ٢٣ » ، اما الثانية فمحرّمة لانها تشتهي الامور الجسدية الشهوانية بخلاف طبعها الروحي ولذلك نهى الله عنها قائلا : لا تشته .

الشهوة المنحرفة ، باب منه يدخل الشر الى النفس فيتصور فيها كجنين ، ثم يضحي ثمراً كاملاً يحمل الموت الزؤام . فكلما كان هذا الباب مغلقاً ، لا يجد الشر سبيلا للولوج الى النفس ،وكلما كانت الشهوة خارجاً ، تكون النفس مفطومة من الاضرار .

ان الشرائع البشرية تنهي الرذائل عن الخارجية فقط اما الشريعة الالهية فانها لم تنهِ عن الرذائل الخارجية فحسب بل عن الفكرية ايضاً. ذلك ان الشهوة بذرة، فان وقعت في ارض ولم يستدرك استئصالها: ستصير يوماً شجرة كبيرة متأصلة يصعب اقتلاعها. ولذلك نرى الحكيم يوصينا بحفظ القلب من الميول المنحرفة قائلا: فوق كل تحفّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة. « ام ٤ : ٢٣ ». ومتى حُفظ القلب أمن من السجس والاضطراب واصبحت النفس هادئة كما لو كانت في ميناء.

لقد سمى بعضهم هذه الوصيـــة المبجّنة لأنها تمكن بقية الوصايا وتؤيدها بمنعها البشر عن الشهوات اللحمية وعن الطمع الذي هو عبادة الأوثان. وكما ان النجار بعد ان يضرب المسمار يبجنه بالمطرقة حتى يثبت: كذلك الله جلّ اسمه بعد ان جرد الوصايا التسع بجّنهـا بهذه الوصية العاشرة « لا تشتهِ » حتى تثبت في القلب متأصلة وتأتي بالثمر المحبوب. قال الرب: من كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه ابي وانا احبه واظهر له ذاتي « يو ١٤ : ٢١ ».

لم يمنع الله عن النظر العينين اللتين خُلقتا لتعاينا هــذه الكائنات العجيبة وتمجدا باريها. لكنه منعهما عن الاشتهاء المنحرف فقال « لا تشتهِ بيت قريبك ولا امرأته ولا عبده ولا امتــه ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما له » لأن الشهوة تحبل وتلد الخطيئة، والخطيئة اذا تمّت تنتج الموت « يع ١ : ١٥ ». وهكذا نرى الرب يمنع عن النظر الشهواني قائلا « كل من نظر الى امرأة لكي يشتهيها فقد زنى بهـا في قلبه « مت ٥ : ٢٨ ».

الشهوة المنحرفة هي اصل كل القبائح ولذلك كثيراً ما ينهي

الكتاب عن الوقوع فيها قائلا «اسلكوا بالروح ولا تقضوا شهوة الجسد» غل ٥ : ١٦ » . ويوصي طيمثاوس « اهرب من الشهوات الشبابية واقتفِ البر والايمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب بقلب طاهر» طيم ٢ : ٢٢ » ويحث القديس بطرس قائلا : « ايها الاحباء اسألكم كالغرباء والنزلاء ان تبتعدوا عن الشهوات الجسدية التي تحارب النفس» ا بط ٢ : ١١ « لأن الجسد يشتهي ضد الروح « غل ٥ : ١٧ » .

قال القديس مار فيلكسينوس : ان شهوة الروح تسبق شهوة الجسد . فمن لا يحتفظ بها يهبط الى شهوة الجسد كما جرى لآدم . ومن غريزيات النفس انها تشتهي ما يفوق طبعها . فاذا اشتهت ما هو احط منه تكون قد شذت عن طبعها . وان الله لا يشأ ان نشتهي شيئاً من المحاسن دون حسنه ، وقد جعلت النفس ملكة على الجسد ، فعليها إذن ان تضبط عنان حواسه كمدير حكيم .

لا يليق بالنفس ان تفعل شيئاً بهوى الجسد ، لكن على الجسد ان ينقاد لما تحبه النفس في ما يوافق ارادة الله . وفي امكان النفس ان لا تدع الجسد يتنازل الى شهواته الطبيعية . ان الجسد مقترن بالنفس طبعاً ، اما الشهوة فليست كذلك لكنها دخلت عليه من الخارج بتعدي الوصية الالهية .

لا نستطيع ان نفصل النفس عن الجسد ، واما الشهوة فنستطيع ان نقطعها من الجسد متى شئنا .

وما دامت فيك شهوة الروح فلا تستطيع شهوة الجسد ان تثور فيك .

كثيرون من محتضني العلم يتحررون من هوى الشهوة لأن الذي يعتني بالعلم ويجمع المعارف لا يليق به ان يأبه للذة الشهوة .

كثيرون يتوهمون ان شهوة الافكار ليست بخطية ، وقد فاتهم انها اصل كل افعال الخطية ، لأن القلب هو ينبوع كل الافكار ، ومنه تتولد كل حركات الصلاح والطلاح ، فينبغي ان نحفظه بنقاوة لأن فيه يستريح الله .

ان النظرة البسيطة العادية هي طبيعية للعـــين ، واما النظرة الشهوانية فهي بالارادة والفكر .

تبدأ الشهوة احياناً بواسطة الاسباب الخارجية أي بواسطـة النظر أو السمع أو غير ذلك . أما العقل الذكي الصارم ينأى بأصحابه عن دواعي العلة ولا يستسلم للشهوة توقياً من الاخطار التابعة كالامراض الخلقية وغيرها . فعليك إذن ان تسد المنافذ وتحفظ نفسك من الاسباب المار ذكرها لئلا تجذبك الى الشهوة .

ان الشهوة تزيد الاهواء وتنميها . فلا تضع عليها حطباً لتزداد اضطراماً ، بل اقطع عنها المواد فتهدأ وتنطفىء . فاذا خمـــدت فيك الاهواء واضطرمت بدلاً منها محبة الله : تتمكن من حفظ وصاياه الالهية التي هي حياة لحافظيها .

ان شهوة الفضائل موضوعة في النفس طبعـــاً ، فاذا اشتهت الروحيات كانت شهوتها طبيعية ، ومتى ذاقت النفس هذه اللذة الروحية ماتت عنها شهوة الجسد بالكلية .

ارشدكم الله الى معرفة وصاياه ، وقوّاكم على حفظها وقلوبكم عامرة بالمحبة له وللقريب ، لكي ترثوا الحياة الابدية التي لا تشيخ ولا تذبل . جعل الله ذلك نصيب الجميع برحمته آمين .

وكان الانتهاء من تبييضه
يوم الجمعة ٩ من شهر أيار سنة ١٩٥٨
في دير الزعفران

فهرست الكتاب

صفحة

٣ المقدمة بالسرياني

٥ مقدمة في الوصايا الالهية

٩ الباب الاول : في الوصية الاولى « انا الرب إلهك ... »

١٥ الباب الثاني : في الوصية الثانية « لا تصنع لك منحوتاً ... »

٢١ الباب الثالث : في الوصية الثالثة « لا تحلف باسم الرب ... »

٢٧ الباب الرابع : في الوصية الرابعة « اذكر يوم السبت لتقدسه »

٣٨ الباب الخامس : في الوصية الخامسة « اكرم اباك وامك »

٥٨ الباب السادس : في الوصية السادسة « لا تقتل »

٦٣ الباب السابع : في الوصية السابعة « لا تزنِ »

٧٣ الباب الثامن : في الوصية الثامنة « لا تسرق »

٨٠ الباب التاسع : في الوصية التاسعة « لا تشهد ... »

٨٦ الباب العاشر : في الوصية العاشرة « لا تشتهِ ... »

٩١ جدول الخطأ والصواب

جدول الخطأ والصواب

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر
ܐܘܡܐ	ܐܬܘܡܐ	٣	٢
الحيد	الجيد	٦	٦
يحفظه	يحفظوه	٧	٣
بامسانهم	باحسانهم	٧	٩
عرسها	غرسها	٩	١٢
لحهلهم	لجهلهم	١٢	٧
توحب	توجب	١٢	٢١
يكن لك	يكن لك الهة	١٥	١٩
تحري	تجري	١٧	٥
بنوخذ نصر	نبوخذ نصر	١٨	٧
الحبل	الجبل	١٩	١١
توحبه	توجبه	٤٢	٣
ياهم	اياهم	٤٧	٩
تنطق	تمنطق	٥٠	١١
الضغب	الغضب	٦١	١٤
فها لوصية	فها كم الوصية	٦٥	١٦
الرح	الروح	٩١	١١
وره	ثوره	٧٤	١٠

الروضة الزهية

في

الوصايا الالهية

بقلم

فيلكسينس يوحنا دولباني

مطران ماردين وتوابعها

نُشِر على نفقة محب الخير السيد متى القس متى

ورصد ريعه الى دير الزعفران

ماردين

١٩٥٨